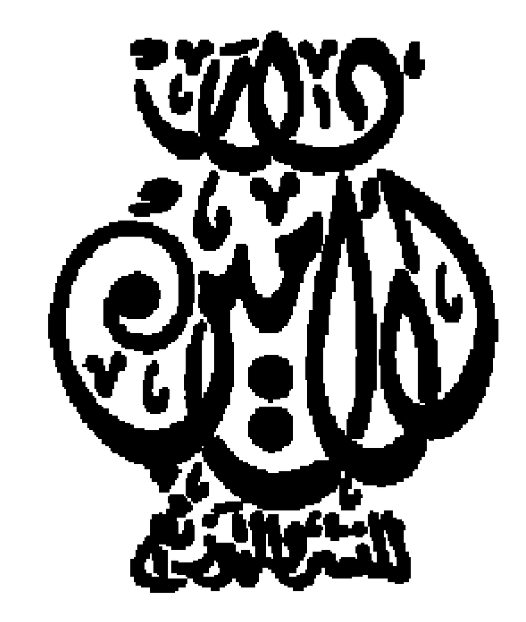

من ذخائر التراث
تذكرة الآباء
تأليف
الإمام الشيخ كمال الدين عمر بن أحمد
ابن هبة الله بن العديم
الحلبي
٥٨٨هـ - ٦٦٠هـ
حققه وعلق عليه
علاء عبد الوهاب محمد
Bibliotheca Alexandrina
0124589

تذكرة الآباء

بسم الله الرحمن الرحيم

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ

صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN

طبع ● نشر ● توزيع

القاهرة : ١٠ شارع بستان الدكة من شارع الألفى (مطابع سجل العرب) ت : ٩٣٢٧٠٦ ص ب ١٣١٥ العتبة ١١٥١١.

الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق - خلف قاعة سيد درويش بالهرم - ص.ب. ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١.

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

رقم الإيداع ٢٨٦١/ ١٩٩٥

I.S.B.N.

977-279-003-3



ت : ٩٣٢٧٠٦

من ذخائر التراث

تذكرة الآباء

تأليف

الإمام الشيخ كمال الدين عمر بن أحمد

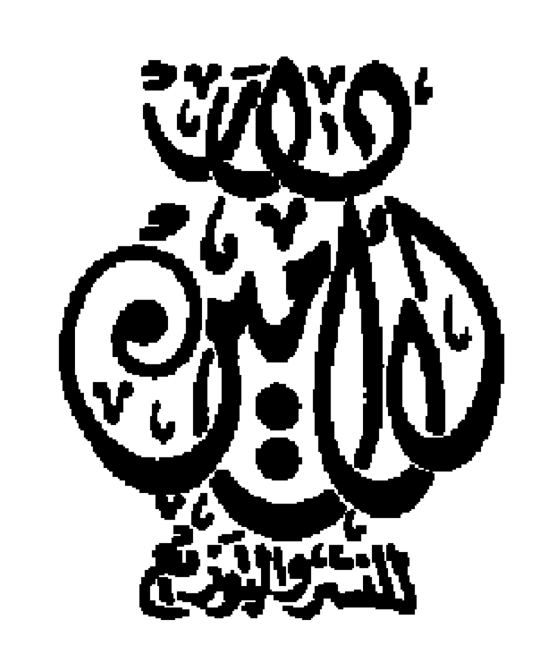
ابن هبة الله ابن العديم

الحلبى

٥٨٨هـ - ٦٦٠هـ

حققه وعلق عليه

د. علاء عبد الوهاب محمد



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا : ﴿ مَنْ يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ﴾ . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن الأولاد زينة الحياة الدنيا ، وقرة عين الآباء والأمهات ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾[2] .

هذا فى الحياة الدنيا ، وأما فى الآخرة فهم ريحانة الآباء فى الجنة ، كما قال رسول الله ﷺ : « الولد من ريحان الجنة »[3] .

والطفل عندما يولد ، يولد على الفطرة كما قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة »[4].

---

(١) سورة الكهف آية : (٤٦) .

(٢) سورة الفرقان آية : (٧٤) .

(٣) رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن خولة بنت حكيم ص (١٤٩) .

(٤) رواه الإمام البخارى فى صحيحه (٢/ ١٢٥) . ورواه الإمام أبو داود فى صحيحه (٤٧١٤ ، ٤٧١٦) . ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة (٢/ ٢٣٣ ، ٢٧٥) . وغيرهم .

وعندما يفتح الطفل عينه على الحياة يرى أمه وأباه ، فيستقر فى نفسه أن الأم والأب هما كل شىء فى العـــالم ، فيلجأ إليهما فى كـل صغيرة وكبيرة ، وتنساب أسئلـة الاستفسار كـالسيل المدرار ، حتى يعجز فى بعـض الأحيان كثير من الآباء عن الجواب .

وعقل الطفل فى مـرحلـة الطفولـة الأولى خـامة لينـة يمكن لـلأب أن يشكِّلها كما يشـاء ، ولأن نفسية الطفل - كما يقـال - كالصحيفـة البيضاء ، فيستطيع الأب أن يخط فيهـا ما يشـاء . ويمتـاز الطفل فى هـذه المرحلة بأنـه يقتنع بكل جواب يقال له ، ويصدق كل مـا يسمع من والديه ، كما أنه يقلد كل حركات والده وتصرفاته ، ولذلك كان الوالد المسئول الأول عن تصرفات أبنـائه فى الصغـر ، كما أنـه المسئـول الأول عن التربيـة والتـوجيـه والإعـداد والتثقيف فيما يـرضى الله عـز وجل ، وقــد خصــه رســول الله ، ﷺ ، بهذه المسئولية فقال : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راعٍ ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ فى أهلـه وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها »[1].

فالمسئـولية على الأب عظيمـة ، وتترتب عليهـا نتائج خطيرة فى الـدنيا والآخرة ، لذلك كان لـزامًا على الأب أن ينشىء أولاده على الإيمان والعقيدة ، وأن يعودهم على التكاليف الشرعية وخاصة الصلاة منذ الصغر ، لقوله ﷺ:

---

(١) جـزء من حـديـث رواه البخـارى (٢/ ٦) ، (٣/ ١٩٦) . ورواه أبـو داود فى الخراج (ب١) . ورواه الترمذى (١٧٠٥) . ورواه الإمـام أحمد (٣، ٥، ٥٤)عن عبد الله بن عمر . وتمامه : « والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته » أى أن كل حافظ لشىء يسأل عنه يوم القيامة : هل أصلح ما تحت نظره وقام بحقوقه أم لا ؟ .

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع »[1] ، وهكذا فى بقية العبادات ، ليكون ذلك تمرينًا للطفل على العبادة لكى يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة .

ويجب على الأب كذلك أن يغرس فى نفوس الأبناء القيم الدينية والعادات الإسلامية الصحيحة ، وأن يؤدبهم بآداب الإسلام ، وأن يعلمهم أحكام الشريعة ، وأن يردد على مسامعهم محبة الله ورسوله ، وأن يميز لهم الحلال من الحرام ، وأن يلقنهم بعض الأمور العامة مثل : ولادة الرسول ﷺ واسم أبيه وأمه وجده وعمه ومرضعته إلى غير ذلك ، ثم يصحبه إلى المسجد ، ويأخذ بيده إلى أماكن العبادة ويرشده إلى الصاحب المسلم ، والصديق المؤمن ، ويحفظه القرآن الكريم وقسطًا من السنة والسيرة وأخبار الصحابة والخلفاء الراشدين .

وبذلك تكون الذرية - أولادًا وبنات - صالحين فى الدنيا ، وتكون أجرًا وثوابًا فى صحيفة الوالدين فى الآخرة ، كما جاء فى الحديث الشريف : « إذا ماتَ ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقةٌ جاريةٌ ، وعلمٌ ينتفع به، وولدٌ صالحٌ يدعو لهُ »[2].

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه (ب ٢٦) كتاب الصلاة - باب متى يؤمر الغلام بالصلاة.
وأخرجه الدارمى فى سننه (١/ ٢٧٣) كتاب الصلاة - باب متى يؤمر الصبى بالصلاة » ، ولفظه : « علموا الصبى الصلاة ابن سبع ، واضربوه عليها ابن عشر » .
ورواه الإمام أحمد فى مسنده (٢/ ١٨٠) بلفظ : « مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعة ... »
وقال النووى عنه فى الرياض : حديث حسن .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه (٣/ ٦٥١) كتاب الأحكام - باب الوقف .
وأخرجه مسلم فى صحيحه (٣/ ١٢٥٥) كتاب الوصية - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته . ولفظه « إذ مات الإنسان ... » .
وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢/ ٣٧٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وهذا الكتاب (تذكرة الآباء) يجول بنا حول هذه المعانى ، فهو يعرفنا على أهمية الأولاد ، وكيفية الاعتناء بهم ، من خلال الآية والحديث ، والخبر ، والشعر ، وكثيرًا ما يستخدم الحكايات الظريفة والنوادر الطريفة التى تعلى همم الرجال فى تنشئة الأبناء على أجمل وأسمى الخصال ، كما تُفاكه الأبناء لتغرس فى نفوسهم الأمل وتعينهم على مضاعفة العمل ، من أجل الوصول إلى أنبل الغايات وأسمى الدرجات .

وكتاب (تذكرة الآباء) اسمه الحقيقى (الدرارى فى ذكر الذرارى) وقد أطلقت عليه الاسم الأول ؛ لأنى وجدت صعوبة فى فهم الاسم الحقيقى من أول وهلة .

و (الدرارى) بمعنى : اللُّؤلؤ أو اللآلىء . وفى القاموس : (الدُّرَّة) اللؤلؤة . والجمع (دُرٌّ) و (دُرَّات) و (دُرَر) . والكوكب (الدُّرِّيُّ) الثاقب المضىء .

و (الذرارى) بمعنى : الأولاد . وفى القاموس (الذَّرُّ) جمع (ذَرَّة) وهى أصغر النمل ، ومنه سمى الرجل (ذَرًّا) وكنى أبو ذر . و (ذُرِّية) الرجل وَلَدهُ ، والجمع (الذرارى) و (الذُّرِّيات) .

وبذا يكون المعنى الحقيقى لاسم الكتاب (اللآلىءُ فى ذكر الأولاد) .

وها أنذا أضع هذا الكتاب بين يدى الأمة الإسلامية . آملاً من الله سبحانه أن أكون قد حققت المطلوب ، ووصلت إلى المرغوب .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ، وأخذ بنواصينا إلى جادة الحق والصواب ، وألهمنا الرشد والسداد ، وإعداد الجيل المؤمن بالتربية الإسلامية الرشيدة .

علاء عبد الوهاب محمد

عملى فى الكتاب

لما فشلت فى العثور على نسخة خطية أخـرى للكتاب ، قمت - بتوفيق من الله عز وجل - بإصلاح الأخطـاء التى وردت فى هذه النسخة ، وضبطت المتن ، وخرجت الآيـات ، والأحاديث ، وترجمت للأعـلام الواردة ، وشرحت الكلمات الغريبة التى وردت ، وترجمت لمؤلف الكتاب .

والله أسأل أن ينفع بهذا الجهـد كل من يقـرأ الكتـاب ، وهـو الموفق إلى الحق والصواب .

والحمـد لله أولاً وآخرًا ، والصـلاة والسلام على عبـده ورسولـه سيدنـا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

❑ ❑ ❑

ترجمة المؤلف

هو الإمـام كمال الدين أبو حفص (أو) أبو القـاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الشهير بابن العديم الحلبى ، والمعـروف بابن أبى جرادة العقيلى ، من أعيان أهل حلب وأفاضلهم ، وبيت أبى جرادة بيت مشهور من أهل حلب، أدباء ، شعراء ، فقهاء ، يتوارثون الفضل كابرًا عن كابرٍ ، وتاليًا عن غابرٍ .

ولــد بحلـب فى سنــة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ورحل إلى دمشـق ، ثم فلسطين ، ثم الحجاز ، ثم العراق ، ثم استقر فى القاهرة حتى توفى .

سمع من أبيـه ومن عمـه ومن جماعـة كثيرة بـدمشق وحلب والقـدس والحجاز والعراق ، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبى حنيفة .

وكان محدثًا فاضلاً ، حـافظًا مؤرخًا ، كاتبًا بارعًا ، شـاعرًا مجيدًا ، وكان إمامًا فى فنون كثيرة .

كان قـد قدم مصر لما جفل[1] النـاس من التتر ، ثـم عـاد بعد خـراب حلب ، فلما نظر ما فعله التتر من خـراب حلب وقتل أهلها بعد تلك العمارة قال فى ذلك قصيدة طويلة أولها :

هـو الـدهـر مـا تبنيـهِ كفك يهدم   وإن رمت إنصـافًـا لــديـهِ فتظلم

ثم عـاد إلى القاهـرة ومـات بها سنة (٦٦٠هـــ) ودفن بـالقـرافة ، لـه تصانيف رائقة منها :

---

(١) جفل : أى هربوا مسرعين .

١- بغية الطلب فى تـاريخ حلب - مخطوط وهو كبير جـدًّا ، وقد اختصره فى كتاب آخر سماه :
٢- زبدة الحلب فى تاريخ حلب - طبع المجلد الأول منه .
٣- سوق الفاضل - منـه مجلدان فى مكتبة عارف حكمت بـا لمدينة المنورة - مخطوط .
٤- وصف الطيب - رسالة مخطوطة .
٥- الأخبار المستفادة فى ذكر بنى جرادة .
٦- دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى - وقد طبع ما وجد منه .
٧- التذكرة - مخطوط .
٨- الـدرارى فى ذكر الـذرارى - وهو كتـابنـا هذا - جمعـه للملك الظاهـر وقدمه إليه يوم ولد ولده الملك العزيز سلطان حلب ..

مصادر ترجمته :

١- ابن الوردى (٢/ ٢١٥) .
٢- إرشاد الأريب (٦/ ١٨) .
٣- الأعلام للزركلى (٥/ ٤٠) .
٤- سير أعـلام النبـلاء (٢/ ٣١٣) ، (٤/ ٤٦٤) وفيه تـراجم جماعـة من آل أبى جرادة .
٥- تاج التراجم لابن قطلوبغا (ترجمة رقم ١٤٣) .
٦- الجواهر المضيئة (١/ ٣٨٦) .
٧- شذرات الذهب (٥/ ٣٠٣) .
٨- الفهرس التمهيدى (٥٦٤) .
٩- فوات الـوفيات (٢/ ١٠١) وفيه وفـاته سنة (٦٦٦هـ)خلافًا للمصادر الأخرى .

١٠- مجلة المجمع العلمى العربى (٢٣/ ١٥١) .
١١- مرآة الجنات (٤/ ١٥٨) .
١٢- معجم الوفيات (٦/ ٨) .
١٣- النجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨) .

وقد وقع اسمه فى كشف الظنون (ص ٢٩١) عمـر بن أبى جرادة عبد العزيز - خطأ . وتـابعه فى ذلك صاحب آداب اللغة وسماه - عمـر بن عبد العزيز بن أحمد (٣/ ١٧٠) .

❑ ❑ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، المنزه عن الوالد والولد ، الذى خلق الإنسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ، وزينه فى الحياة الدنيا بالمال والبنين ، والصلاة على محمد سيد الأنبياء وخاتمها ، وإمام أهل الرسالات وحاكمها ، وهادى الأمة وعالمها ، وعلى آله الطاهرين معادن العلم وبحاره ، وتيجان الحلم ووقاره .

وبعد :

فإنى وجدت مولانا السلطان الملك الظاهر[1] العالم العادل المؤيد المنصور المظفر غياث الدنيا والدين سيد الملوك والسلاطين أبا المظفر غازى ابن يوسف بن أيوب ناصر أمير المؤمنين أعز الله نصره ، وأنفذ فى المشارق والمغارب أمره ، قد جعله الله تعالى لطالبى العلم ركنًا عزيزًا ، ومعقلا[2] حريزًا[3] ، ووهب لهم منه حلمًا فسيحًا ، ومتجرًا ربيحًا ، من تفيأ منهم بظله الظليل أمن الزمان وريبه ، حتى أضحت فى أيامه الزاهرة حلب هى

(١) هو الملك الظاهر الأيوبى غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، من ملوك الدولة الأيوبية ، ولد بالقاهرة سنة (٥٦٨هـ) ، وأعطاه والده مملكة حلب سنة (٥٨٢هـ) فتولاها إلى أن توفى سنة (٦١٣هـ) ودفن فى قلعتها ، كان حازمًا مهيبًا ، عَمرت دولته بالعلماء والعظماء ، وحضر معظم غزوات والده . انظر : الأعلام (٥/ ١١٣) . ووفيات الأعيان (١/ ٤٠٢) والشذرات (٥/ ٥٥) .

(٢) معقلا : (المَعْقِل) الملجأ .

(٣) حريزًا : (الحِرْز) الموضع الحصين . يقال : هذا (حِرزٌ حَرِيز) ويسمى التعويذُ (حِرْزا) و (احْتَرَز) من كذا و (تَحَرَّز) منه أى توقاه . ومعنى معقلا حريزا : ملجأ حصينا .

قبلة أهل العلم وكعبة أهل الأدب ، فأحببت أن أخدمه بكتاب نفيس ، رائق المعنى أنيس ، أجمع فيه نُبذًا من ذكر الأبناء ، وأخبار الحمقى منهم والنجباء، وما ورد فى مدحهم وذمهم من الأخبار النبوية ، والفقر الحكمية ، وما قيل فيهم من الأشعار الفصيحة ، والنوادر المستظرفة المليحة ، فإن السلطان سوق يُجلب إليه ما ينفق عنده لا سيما وهو غرة العلماء ، وسيد الملوك الكبراء، قد أحيا مكارمهم وإن كان أخيرًا ، واستولى على الأمد منذ كان طفلاً صغيرًا، فهو كما قال البحترىّ [1]:

أوفيتَ عاشرهم فإن سبقوا إلى كرمٍ وأفضالٍ فأنتَ الأولُ

فشرح الله بالخيرات صدره ، وأوزع[2] رعيته شكره ، وحفظ عليه فرعى شجرته العالية ، وثمرتى دوحته الزكية ، حتى يرى منهم أشبالاً وآسادًا ، ما بقى الملوان[3] ، وكر الجَدِيدانِ[4].

---

(١) هو أبو عُبادة الوليد بن عُبيد الطائى البحترى ، ولد بناحية منبج سنة (٢٠٦هـ) وتربى فى قبائل طيىء وغيرها من البدو الضاربين فى شواطىء الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب ، ثم رحل إلى بغداد واتصل بالخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، كان شعره بديع المعانى ، حسن الديباجة ، سلس الأسلوب ، سَهُلَ فهمه على جميع الطبقات ؛ لسلامته من المعانى المعقدة ، وكان يقال لشعره : سلاسل الذهب، ولذا اعتبره أهل الأدب الشاعر الحقيقى فقيل : أبو تمام والمتنبى حكيمان والشاعر البحترى ، توفى سنة (٢٨٤هـ) .

(٢) أوزع : (أَوْزَعَه) بالشىء أغراه به . و (اسْتَوْزَعْتُ) الله شُكْرَه (فَأَوْزَعَنِى) أى استلهمته فألهمنى . و (الوَازِعُ) الذى يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وجمعه (وزعةٌ) . وقال الحسن : لابد للناس من (وَازِعٍ) أى من سلطان يكفهم .

(٣) الملوان : الليل والنهار .

(٤) كر (الكَرُّ) الرجوع . يقال : (كَرَّهُ) و (كَرّ) بنفسه يتعدى ويلزم ، الجديدان : الليل والنهار .

الباب الأول
فى اكتساب الأولاد والحث عليه

قال النبى ﷺ : « تناسلوا تكثروا ، فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة »[1] وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه[2] ألا و إن ولده من كسبه » وقال عمر[3] رضى الله عنه : (إنى لأُكره نفسى على الجماع رجاء أن يُخرج الله نِسمة تسبحه وتذكره) . وقال : (تكثّروا من العِيال ، فإنكم لا تدرون بمن ترزقون) .

---

(١) أورده الحافظ عبد الرزاق فى مصنفه (١٠٣٩١) عن ابن جريج بلفظ : « تناكحوا تكثروا ، فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » .
وكذا أورده الزبيدى فى الإتحاف (٥/ ٢٨٦) .

(٢) أخرجه الحافظ ابن ماجه فى سننه (٢١٣٧) - كتاب التجارات - باب الحث على المكاسب .
وأخرجه النسائى (٧/ ٢٤١) - كتاب البيوع - باب الحث على الكسب ، بلفظ « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه و إنَّ ولَدَهُ من كسبه » .
وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٦/ ٣١) . وأخرجه البيهقى (٧/ ٤٨٠) .

(٣) هو الفاروق عمر بن الخطاب أمير المؤمنين . ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، أسلم بعد أربعين رجلا وأحد عشر امرأة . أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثانى الخلفاء الراشدين ، أول من دعى أمير المؤمنين ، تزوج أم كلثوم بنت الإمام على - كرم الله وجهه - طعنه أبو لؤلؤة المجوسى فبقى ثلاثا ، ومات سنة (٢٣هـ) .

وذهب أبو حنيفة[1] رضى الله عنه إلى أن الاشتغال بالنكاح أفضل من التخلى لنفل العبادة من حيث أنه يُفضى إلى الولد الذى به بقاء العالم إلى الأمد الموعود ، وعود مصلحة الولد إلى الوالد حيًّا وميتًا ، بنصره لوالده فى حال حياته ، والنفقة عليه على تقدير الحاجة إليه ، وإمداده إياه بأنواع الثواب بعد وفاته من الدعاء والصدقة والترحّم عليه بسببه .

ولعمرى إن التسبب فى إيجاد مثل مولانا السلطان الذى نشر العلوم فى أيامه ، وأحيا الفقراء والمساكين بجوده وإنعامه ، وحبب العلماء إلى الناس بما ظهر لهم من لطفه بهم وإكرامه ، أفضل عند الله تعالى من صلاة الدهر نفلاً وصيامه .

ولو شاهد أبو حنيفة رضى الله عنه عصره وزمانه ، ورأى بره للرعية وإحسانه ، لجعله دليله فى المسألة وبرهانه ، ولسلّم له الخصم ما نازعه فيه ، فمثل هذا الدليل فى إبانة الحجة يكفيه .

دخل عثمان بن عفان[1] رضى الله عنه على ابنته وهى عند عبد الله بن خالد بن أسيد فرآها مهزولة فقال : لعل بعلك يغيرك ، قالت : لا ، فقال

(١) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم الله بن ثعلبة ، ولد لثمانين من الهجرة ، تابعى جليل ، إمام بارع ، أخذ الفقه عن حماد بن أبى سليم ، كان حسن الوجه والثياب والمجلس ، كثير التعطر ، طيبًا ، كثير الكرم ، وكان من أحسن الناس منطقًا. قال الشافعى: الناس عيال أبى حنيفة فى الفقه . توفى سنة (١٥٠هـ) .

(٢) عثمان بن عفان ،رضى الله عنه ، أمير المؤمنين ، ولد فى السنة السادسة من عام الفيل، دعاه الصّديق إلى الإسلام فأسلم ، هاجر الهجرتين ، تزوج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل النبوة وماتت عنده فى ليالى غزوة بدر ، ثم تزوج أختها أم كلثوم ، لذلك سمى بذى النورين ، أحد الخلفاء الراشدين الأربعة ، قتل مظلومًا سنة (٣٥هـ) ودفن بالبقيع .

لزوجهـا : لعلك تغيرها ، قال : لا ، قـال : فافعل ، فلغلام يـزيده الله فى بنى أمية أحب إلىّ منها[1] .

قـال أرسطاطـاليس : لما كـان البقاء مما استأثـر بـه القديم جل ذكـره لجلالته وعلـو قدره وكان محبـوبًا إلى النفوس كلهـا ناطقها وصـامتها ، ولما لم يمكن للحيوان البقاء بشخصه أحب البقاء بنـوعه فأوجد المثل ، قال الله عز وجل فى كتابـه الكريـــم فيما يحكـى عن زكريـا عليـه السـلام ودعائـه فى الولـد : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذ نَادَى رَبَّـهُ رَبِّ لا تَذَرنِى فَردًا وَأَنتَ خَيرُ الوَارِثِينَ ﴾[2] يعنى : لا تذرنى وحيدًا لا ولد لى .

وقالت أعرابية تتمنى ولدًا :

يــا حسرتــا على ولـــدِ ... أشبـــهَ شىءٍ بــالأســـد
إذا الــرجــال فى كبـدِ[3] ... تغــالبــوا على نكـــدِ[4]
كـــان لـــه حظ الأشـــد

❋ ❋ ❋

---

(١) أرى أن هذا القول لا يعقل من إمـام عظيم ، وصحابى جليل كعثمان بن عفان رضى الله عنـه ، لأن فيه عصبيـة ظاهـرة لبنى أميـة ، وخاصـة أنـه من الخلفاء الراشديـــن العدول .

(٢) سورة الأنبياء : ٨٩ .

(٣) كبد : (الكَبَد) بفتحتين الشدة . ومنه قوله تعالى: ﴿ لقد خلقنـا الإنسان فى كَبَـد ﴾ و (كَابَد) الأمر قاسى شدته .

(٤) نكد : (نَكِد) عيشه اشتد . ورجل (نكـدٌ) أى عسرٌ . وجمعه (أَنكاد) و (مَنَاكِيدُ) و (نَاكَده) وهما(يَتَنَاكَدَان) أى يتعاسران ، و (الأَنْكَدُ) المشئوم .



الباب الثانى
فى المنع من اكتسابهم والتحذير منهم

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُم وَأَولادِكُم عَدُوًّا لكُم فَاحذَرُوهُم ﴾[1] وقال النبى ﷺ : « لا يكن أكثر شغلك بأهلك وولدك ، فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله ، فإن الله لا يضيع أولياءه ، وإن يكونوا أعداء الله فأهمك وشغلك بأعداء الله » .

وعن ابن مسعود[2] رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه حتى يَفر به من شاهق[3] إلى شاهق ، ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ » قالوا : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله عز وجل فعند ذلك حلت العزوبة » قالوا : يا رسول الله أليس أمرتنا بالتزويج ؟ قال: « بلى ، ولكن إذا كان فى ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدى قرابته وجيرانه» .

---

(١) سورة التغابن : ١٤ .

(٢) هو عبد الله بن مسعود ، أبو عبد الرحمن ، حليف بنى زهرة . أسلم قبل عمر ، كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبى ﷺ ، هاجر الهجرتين ، شهد بدرًا وهو الذى قتل أبا جهل ، وشهد بقية المشاهد ، واشترك بعد رسول الله ﷺ فى مواقف كثيرة ، منها اليرموك وغيرها ، شهد وفاة أبى ذر ودفنه ، مات ودفن بالبقيع ، وله من العمر بضع وستين سنة . انظر البداية والنهاية (٧/ ١٦٣) .

(٣) شاهق : (الشَّاهِق) الجبل المرتفع .

قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « يعيّرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فيوردونه موارد الهلكة »[1].

قيل لعيسى ، عليه السلام : هل لك فى الولد ؟ فقال : (ما حاجتى إلى من إن عاش كدّنى وإن مات هدّنى)[2].

وسئل فيلسوف : لم لا تطلب الولد ؟ فقال : من محبتى للولد . وقيل لآخر : لو تزوجت فكان لك ولد تذكر به ، فقال : والله ما رضيت الدنيا لنفسى فأرضاها لغيرى .

وقيل لبعض الأعراب : لم لا تتزوج ؟ فقال : مكابدة العزوبة أصلح من الاحتيال لمصلحة العيال ، وقيل لأعرابى : لم أخّرت التزويج إلى الكبر ؟ فقال: لأبادر ولدى باليتم قبل أن يسبقنى بالعقوق[3].

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود فى سننه (٣) كتاب البيوع - باب اجتناب الشبهات . وأورده التبريزى فى مشكاة المصابيح (٢) كتاب البيوع - باب الربا . وقال : رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه وإسناده ضعيف . وأورده كذلك الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب (٣/ ١٠) وقال : رواه أبو داود، وابن ماجه ، وكلاهما من رواية الحسن عن أبى هريرة . وقال المنذرى : والحسن لم يسمع من أبى هريرة فهو منقطع .

(٢) لا يُعرف من أين استقى المصنف هذا القول ، وظنى أنه منسوب إليه بدليل أن المصنف ذكره فى ص (٣٠) ولم يعزه لأحد .

(٣) على فرض صحة هذه الأقوال فهى تنافى روح الإسلام ، الذى يدعو إلى التفاؤل وعدم التكهن بالغيب . ولقد قال الله عز وجل فى سورة الأعراف على لسان رسوله ﷺ : « لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسّنيِ السوء » والذى يُنفّر أيضًا من العزوبة بأحاديث رسول الله ﷺ والتى منها « شِراركم عُزابكم » .

قال المتنبى [1]:

وما الولد المحبوب إلا تعلة [2] ولا الزوجة الحسناء إلا أذى البعل
وما الدهر أهلاً أن تؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

* * *

---

(١) هو أحمد بن الحسين، صاحب الشعر الحكيم - والمعانى الدقيقة المخترعة، ولد بالكوفة ونشأ فيها، وتأدب بفصاحة أهل البدو، واتهم وهو مقيم بينهم بأنه يدعى النبوة فسجنه والى حمص، ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام، وبخاصة سيف الدولة، ثم فارقه إلى مصر، فمدح كافور الإخشيدى، ثم هجاه، وفر إلى فارس ماراً بالعراق فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد، ورجع عنهما بالأموال الوافرة، فخرج عليه الأعراب، وقتلوه قرب بغداد سنة (٣٥٤هـ).

(٢) تعلة (عَلَّله) بالشىء (تَعْليلا) أى لهاه به كما يُعَلَّلُ الصبى بشىء من الطعام، يقال: فلان يُعلل نفسه (بتعلَّةٍ) و (تَعلَّل) به أى تلهى به وتجزأ.

الباب الثالث
فى مدح الأولاد وذكر النعمة بهم

قال الله تعالى : ﴿ المالُ والبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا ﴾[1] . وقال ﷺ : «الولد ثمرة القلوب »[2] . وقال عليه الصلاة والسلام : « الولد ريحان من الجنة »[3]وقال عليه الصلاة والسلام : « البنات حسنات والبنون نعم ، والنعم مسئول عنها »[4] .

وقال الفضيل[5] : ريح الولد من الجنة .

---

(١) سورة الكهف : ٤٦ .

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ١٥٥) كتاب البر والصلة - باب ما جاء فى الأولاد وقال : رواه أبو يعلى ، والبزار عن أبى سعيد ، وفيه عطية العوفى وهو ضعيف. وانظر كذلك الإتحاف للزبيدى (٨/ ٢٠٨) .

(٣) رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ص (١٤٩) عن خولة بنت حكيم ، وقد عزاه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٩٨) إلى الحكيم الترمذى وأشار إليه بالضعف .

(٤) أورده صاحب كنز العمال (٤٥٣٩٩) بلفظ « البنات هن المشفّعات المجهزات المباركات ... » . وأورده كذلك السيوطى فى جمع الجوامع (١٠٣٢٠) .

(٥) هو أبو على التميمى ، أحد الأئمة ، العباد ، الزهّاد ، وأحد العلماء والأولياء ، ولد بخراسان بكورة دينور ، وقدم الكوفة ، فسمع بها الأعمش ومنصور وعطاء بن السائب وغيرهم . كان حسن التلاوة ، كثير الصلاة والصيام ، وكان سيدًا جليلا ، ثقة ، من أئمة الرواية ، وذكروا أنه كان شاطرًا يقطع الطريق ثم تاب وأقلع عما كان عليه ، واستمر على توبته حتى صار عَلَمًا يُقتدى به ويُهتدى بكلامه وفعاله ، توفى بمكة ودفن بها ، انظر البداية والنهاية (١٠ / ١٩٨) .

وكان يقال : ريحانتك ابنك سبعًا ثم خادمك سبعًا ثم عدو أو صديق.

قال الحجاج[1] لابن القربة : أيّ الثمار أشهى ؟ قال : الولد ، وهو من نخل الجنة .

غضب معاوية[2] على يزيد[3] ابنه فهجره ، فقال له الأحنف[4]: يا أمير المؤمنين ، أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض

---

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل بن عوف بن ثقيف ، ولد عام الجماعة سنة (٤٠هـ) ، ولاّه عبد الملك بن مروان الحجاز فقتل عبد الله بن الزبير ، ثم ولاه العراق فكان نقمة على أهلها بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة ، فى أيامه نقطت المصاحف ، كانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء ، وكان فصيحًا بليغًا ، بنى مدينة واسط سنة ست وثمانين ، ومات بها وعمره خمس وخمسين عامًا .

(٢) هو معاوية بن أبى سفيان صخر بن أمية ، كاتب وحى رسول رب العالمين ، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة ، وشهد حنينًا ، روى عن رسول الله ﷺ مائة حديث وثلاثًا وستين حديثًا ، وكان رجلاً طويلاً ، أبيض مهيبًا ، وكان عمر رضى الله عنه ينظر إليه فيقول : هذا كسرى العرب ، وكان يُضرب بحلمه المثل ، تولى الخلافة سنة إحدى وأربعين ، فسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد ، وقد رتب أمور الخلافة على ترتيب الملك ،انظر الإصابة (٥/ ٤١٢) .

(٣) هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . ولد سنة (٢٦هـ) كنيته أبو خالد ، ولىّ الخلافة بعهد من أبيه ، وأخذ البيعة له فى حياته ، كان ضخمًا ، كثير اللحم ، كثير الشعر ، وكان مسرفًا فى المعاصى . توفى سنة (٧٣هـ) .

(٤) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصين المرى السعدى المنقرى التميمى ، أبو بحر ، سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين ، يُضرب به المثل فى الحلم . ولد فى البصرة سنة (٣ ق هـ) شهد الفتوح فى خراسان ، اعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صفين مع الإمام على ، ولى خراسان أيام معاوية ، وكان صديقًا لمصعب بن الزبير – أمير العراق – فوفد عنده بالكوفة فتوفى فيها وهو عنده سنة (٧٢هـ) . انظر الأعلام (١/ ٢٦٢) وابن سعد (٧/ ٦٦) .

ذليلة ، وبهم نصول[1] على كل جليلة ، إن غضبوا فأرضهم ، وإن سألوك فأعطهم ، وإن لم يسألوك فابتدئهم ، ولا تنظر إليهم شزرًا[2] فيملّوا حياتك ويتمنوا وفاتك ، فقال معاوية : يا غلام ائت يزيد فأقرئه السلام واحمل إليه مائتي ألف ومائتي ثوب ، فقال يزيد : مَنْ عند أمير المؤمنين ؟ قال : الأحنف : قال يزيد : عليّ به ، فقال : يا أبا بحر ، كيف كانت القصة ، فحكاها ، فقال : أما أنا فسأعلى سمكها[3] ، وشاطره الصلة .

وقالت أعرابية تُرقّص ابنها :

يا حبذا ريح الولد	ريح الخُزامى[4] في البلد
أهكذا كل ولد	أم لم يلد قبلى أحد

وأنشد أبو تمام حبيب بن أوس الطائى[5]:

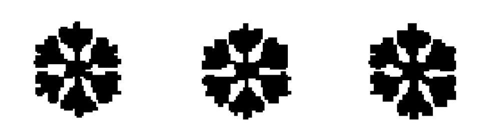
وإنما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم	لامتنعت عينى من الغمض

---

(١) نصول : (صَال) عليه استطال وصال عليه : وثب . و (المصاولة) المواثبة .
(٢) شزرًا : غضبًا . وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه .
(٣) سمكها : (سَمَك) الله السماءَ رفعها . وسَمكَ الشيء ارتفع .
(٤) الخُزَامَى : خِيرِيَ البرّ .
(٥) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى ، نسْبته إلى قبيلة طيء . ولد بقرية جاسم بالشام، ثم رحل إلى مصر صبيًّا فتعلم اللغة والأدب على الأئمة فى جامع عمرو بن العاص ، عالج الشعر حتى برع فيه ، ثم رحل إلى الشام فبغداد ، مدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع ، ويعتبر رأس الطبقة الثالثة من الشعراء - بعد طبقتى بشار وأبى نواس - كان أول من أكثر من الحكم والأمثال والاستدلال بالأدلة العقلية والكنايات الخفية ، أجاد القول فى كل فن وخصوصًا المراثى ، ولغلبة الحِكَم عليه قيل : إن أبا تمام والمتنبى حكيمان ، والشاعر البحترى . توفى سنة (٢٣١هـ) .

وقال الشاعر :

من كان ذا عَضدٍ [1] يدرك ظلامته ... إن الذليل الذى ليست له عضد
تنبو [2] يداه إذا ما قل ناصره ... وتأنف الضيم [3] إن أثْرَى [4] له ولد



(١) عضد : (العَضد) الساعد ، وهو من المرفق إلى الكتف . و (المُعاضَدَةُ) المعاونة و (اعْتضَد) به استعان . والعضد هنا فى البيت كناية عن الولد .
(٢) تنبو : تقصر أو تتباعد .
(٣) الضيم : الظلم .
(٤) أثْرَى : (الثَّراء) بالمد كثرة المال ، و (الثَّروة) كثرة العدد ،قال ابن السكيت : يقال إنه لذو ثروة ، وذو ثراء ، أى إنه لذو عدد وكثرة مال .
و (أثْرَى) الرجل كثرت أمواله ، والمعنى فى البيت : إن كثر له الولد .

الباب الرابع
فى ذمهم وما يلحق الآباء من النَّصَبِ بسببهم

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ مِن أَزوَاجِكُم وَأَولادِكُم عَدُوًّا لكُم ﴾[1] وقال النبى ﷺ : « الولد مبخلة مجبنة مجهلة »[2] ويروى « محزنة » . وقال عليه الصلاة والسلام لولد فاطمة[3] رضى الله عنها : « إنكم لتجبنون وإنكم لتبخلون وإنكم لمن ريحان الجنة »[4]. وقال عليه الصلاة والسلام : « من علامات الساعة أن يكون الولد غيظًا[5] ، والمطر

---

(١) سورة التغابن : ١٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢/ ١٢٠٩) كتاب الأدب - باب بر الولد والإحسان إلى البنات . وقال فى الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(٣) هى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، الهاشمية القرشية ، وأمها خديجة بنت خويلد، من نابهات قريش وإحدى الفصيحات العاقلات . ولدت سنة (١٨) قبل الهجرة ، تزوجها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب فى الثامنة عشرة من عمرها ، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر . وتوفيت سنة (١١هـ) .انظر الأعلام (٥/ ٣٩٩) وطبقات ابن سعد(٨/ ١١-٢٠).

(٤) أخرجه الترمذى عن خولة بنت حكيم - كتاب البر والصلة - باب ما جاء فى حب الولد ، وكذا أورده العسكرى فى الأمثال عن خولة بنت حكيم ، كما قال صاحب كنز العمال .

(٥) غيظًا : (الغَيْظ) غضب كامن للعاجز . نقول (غاظَه) فهو (مَغِيظ) والمعنى : أن تصدر أفعال من الولد لا ترضى أبويه وتسبب لهما الغيظ منه .

قيظًا[1] ، وتفيض الأشرار فيضًا[2] »[3]. ويقال : الولد إن عاش كدّك[4] وإن مات هدّك[5] . وقيل : إذا صلح قميص الوالد لولده تمنى موته .

ومن كلام الجاهلية : ابنك يأكلك صغيرًا ويرثك كبيرًا ، وابنتك تأكل من وعائك وترث فى أعدائك ، وابن عمك عدوك وعدو عدوك ، وزوجتك إذا قلت لها : قومى قامت . قيل لإنسان : إن فلانًا تزوج ، فقال : ركب البحر ، فقيل : وقد جاءه ولد ، فقال : وكُسر به المركب .

قال رجل لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه : خدمك بنوك ، فقال : بل أغنانى الله عنهم .

---

(١) قيظًا : (القَيْظ) حرارة الصيف . و (قَاظَ) بالمكان و (تَقَيَّظ) به أقام به فى الصيف . والموضع (مَقِيظٌ) و (قَـاظَ) يومنا اشتد حره . ومعنى المطر قيظا : ونزل المطر الضعيف فى الحر الشديد .

(٢) تفيض فيضًا : (فَاضَ) الخبر يفيض و (استفاض) أى شاع . وهو حديث (مستفيضٌ) أى منتشر بين الناس . و(فَاضَ) الماءُ أى كَثُر متى سال . و(فَاضَ) اللئام كثروا . ومعنى تفيض الأشرار فيضا : أى كثر الأشرار حتى امتلأت بهم الأرض.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وقال بعد أن ساق الحديث : (وفيه جماعة لم أعرفهم) محمد بن سليمان وابن دالية (غير معروفين) وانظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٥) .
وقال الإمام العراقى : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عائشة ، والطبرانى من حديث ابن مسعود ، وإسنادهما ضعيف . وانظر الإتحاف (٦/ ٢٦٠).
ولفظ الحديث كما أورده الطبرانى : « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ، وتفيض اللئام فيضا ، ويغيض الكرام غيضا ، ويجترىء الصغير على الكبير ، واللئيم على الكريم » .

(٤) كدّك : (الكَدُّ) الشدة فى العمل وطلب الكسب . و (كَدَّه) أتعبه .

(٥) هدّك : (هَدَّ) البناء كسره وضعضعه . و(هَدَّتْه) المصيبة أوهنت ركنه .

لما قبض ابن عيينة[1] صلة الخليفة قال لأصحابه : قد وجدتم مقالاً فقولوا : متى رأيتم أبا عيال أفلح ، كانت لنا هرّة ليس لها جرَاءُ[2]، فكانت لا تكشف عن القدور ولا تعيث فى الدور ، فصار لها جراء ، فكشفت عن القدور وعاثت فى الدور .

نظر عمر ، رضى الله عنه ، إلى رجل يحمل ابنًا له على عاتقه فقال : ما هذا منك ؟ قال : ابنى ، قال : أما إنه إن عاش فتنك وإن مات حزنك . قال الحسن : إذا أراد الله بعبد خيرًا لم يشغله فى دنياه بأهل ولا ولد. رأى ضرار بن عمرو الضبى[3] من ولده ثلاثة عشر ذكرًا فقال : من سره بنوه ساءته نفسه . قال زيد بن على[4] لابنه : يا بنى ، إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ورضينى لك فحذرنيك .

---

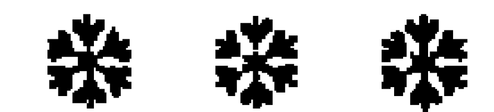
(١) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى أبو محمد الكوفى ، أحد أئمة الإسلام . قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، توفى بمكة سنة (١٩٨هـ) . انظر طبقات الحفاظ (١١٣) .

(٢) جِرَاءُ : قطط صغار . والجِرَاءُ واحدها (جرو) وهو الصغير من كل شىء .

(٣) هو ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد الذهلى الضبى ، سيد بنى ضبة فى الجاهلية ، شهد يوم (القرنتين) ومعه ثمانية عشر من أبنائه ، وهم الذين حموه من عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) فى ذلك اليوم . مات قبل الإسلام ، وهو أبو الحصين بن ضرار الذى قتل فى وقعة الجمل . انظر الأعلام (٣/ ٣١٠) . وجمهرة الأنساب (١٩٣) .

(٤) هو زيدبن على بن عبد الله ، أبو القاسم الفارسى القسوى . عالم بالأدب ، أقام زمنًا فى حلب ودمشق ، ومات فى طرابلس الشام سنة (٤٦٧هـ) انظر الأعلام (٣/ ٩٩). وبغية الوعاة (٢٥٠) .

ولد للحسن غلام فهنِّئ به ، فقال : الحمد لله على كل حسنة ، ونسأل الله الزيادة فى كل نعمة ، ولا مـرحبًا بمن إن كنت عائلاً أنصبنى ، وإن كنت غنيًّا أذهلنى ، لا أرضى بسعى لـه سعيًا ، ولا بكدى له فى الحيـاة كدّاً ، حتى أشفق له من الفاقـة بعد وفاتى ، وأنا فى حـال لا يصل إلىّ من غمه حزن ولا من فرحه سرور .



الباب الخامس
فى ذكر النجباء من الأولاد

قال رسول الله ﷺ : « من سعادة الرجل أن يشبه أباه » ، وقال بعض الحكماء : الحياء فى الصبى خير من الخوف ؛ لأن الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن . قال ابن عباس[1] رحمه الله : عرامة[2] الصبى زيادة فى عقله .

وقالت ماوِيَة بنت النعمان بن كعب لزوجها لؤَى بن غالب[3] : أى أولادك أحب إليك ؟ قال: الذى لا يرد بسطة يده بخل ، ولا يلوى لسانه عى[4] ، ولا يغير طبعه سفه ، يعنى بذلك كَعْب بن لُؤَىّ[5] .

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أبو العباس الهاشمى ، أبو الخلفاء العباسيين، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات بالشعب ، صحابى جليل ، ابن عم النبى ﷺ ، كان يسمى الإمام البحر لسعة علمه ، دخل مصرفى خلافة عثمان ، وشهد فتح المغرب ، دعا له النبى عليه الصلاة والسلام أن يفقهه الله فى الدين ويعلمه التأويل ، توفى بالطائف سنة (٦٨هـ) وهو ابن اثنتين وسبعين . انظر الإصابة (٢/ ٣٢٣) .

(٢) عرامة : علم أو معرفة .

(٣) هو لؤى بن غالب بن فهد – من قريش – من عدنان . جدّ جاهلى ، كنيته أبو كعب، كان التقدم فى قريش لبنيه وبنى بيته ، وهم بطون كثيرة ، وتاريخهم طويل حافل ضخم . انظر الأعلام (٦/ ١١٢) وجمهرة الأنساب (١١/ ١٦٥) .

(٤) عىّ : (العىّ) ضد البيان .

(٥) هو كعب بن لؤى بن غالب ، من قريش ، من عدنان ، أبو هُصيص . جد جاهلى ، خطيب ، كان عظيم القدر عند العرب ، حتى أرخّوا بموته إلى عام الفيل ، وهو أول من سن الاجتماع يوم الجمعة ، فكانت قريش تجتمع إليه فيه فيخطبهم ويعظهم . من نسله بنو سعد وبنو سهل وغيرهم . توفى سنة (١٧٣ ق هـ) .

سئل أعرابى من بنى عبس عن أولاده فقال : ابن قد كهل[١] ، وابن قد رفل[٢] ، وابن قـد عسل[٣] ، وابن قـد نسل[٤] ، وابن قـد مثل[٥] ، وابن قـد فضل[٦] .

سئلت أعرابيـة عن ابنها فقـالت : أنفع من غَيْث ، وأشجع من ليث ، يحمى العشيرة ، ويبيح الذخيرة ، ويحسن السريرة[٧] .

وقـد تبين نجابـة الصبى باختيـاراتـه لمعالى الأمـور ، فإن الصبيان قـد يجتمعون للعب فيقـول عالى الهمة : من يكون معى ، ويقـول القاصر الهمة : مع من أكون .

قال أحمد بن النضر الهلالى : سمعت أبى يقول : كنت فى مجلس سفيان ابن عيينة فنظروا إلى صبى دخل المسجد فتهاونوا به لصغر سنه فقال سفيان: كذلك كنتم من قبل ، فمن الله عليكم ، ثم قال: يا نضر لو رأيتنى ولى عشر

---

(١) كهل : (الكَهْل) من الرجـال الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيـب ، وامرأة (كَهْلةٌ) وفى الحديث: « هل فى أهلك من كاهل ؟ » قـال أبو عبيد : ويقـال : من كاهل أى من أسن وصار (كَهْلا) .

(٢) رَفَل : فى ثيابه أطالها وجرها متبخترًا .

(٣) عسل : صَلُحَ .

(٤) نسل : وَلَد

(٥) مثل : يقال فـلان (أَمْثَل) بنى فلان أى أدناهم للخير ، وهؤلاء (أمـاثِلُ) القوم أى خيارهم ، والمعنى هنا :و ابن أصبح محبًّا للخير .

(٦) فضل : (الفَضْل) و (الفَضيلة) ضد النقص والنقيصة . و (الإفْضَال) الإحسان . ورجل (مِفْضَال) وامرأة (مِفْضَالةٌ) على قومها إذا كانت ذات فضل . والمعنى هنا : وابن كثير الفضل .

(٧) السريرة : (السِّر) الذى يكتم وجمعه (أسرار) . و (السَّريرة) مثله وجمعها (سرائر). والمعنى : ويحسن حفظ السر .

سنين طولى خمسة أشبار ، ووجهى كالدينار ، وأنا كشعلة نار ، ثيابى صغار ، وأكمامى قصار ، وذيلى بمقدار ، ونعلى كآذان الفار ، أختلف إلى علماء الأمصار ، مثل الزهرى[1] وعمرو بن دينار ، أجلس بينهم كالمسمار ، محبرتى كالجوزة ، ومقلمتى كالموزة ، ومقلمتى كالموزة ، فإذا دخلت المجلس قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير ، أوسعوا للشيخ الصغير ، ثم تبسم ابن عيينة وضحك.

وعن الكسائى[2] أنه دخل على الرشيد[3] فأمر بإحضار

(١) هومحمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب - أبو بكر القرشى الزهرى ، تابعى جليل ، ولد سنة (٥٨هـ) فى آخر خلافة معاوية ، كان قصيرًا قليل اللحية ، جالس سعيد بن المسيب ثمان سنين . كان ثقة ، كثير الحديث والعلم والرواية ، فقيهًا جامعًا ، قال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت أحدًا أحسن سَوقا للحديث إذا حَدّث من الزهرى ، توفى سنة (١٢٤هـ) عن ثنتين وسبعين سنة ، ودفن على قارعة الطريق ليدعو له المارة . انظر البداية والنهاية (٩/ ٣٤٠) .

(٢) هو على بن حمزة بن عبد الله الأسدى بالولاء ، الكوفى - أبو الحسن الكسائى ، إمام فى اللغة والنحو والقراءة ، من أهل الكوفة ، ولد فى إحدى قراها وتعلم بها ، وقرأ النحو بعد الكبر ، وتنقل فى البادية وسكن بغداد ، وتوفى بالرى سنة (١٨٩هـ) عن سبعين عامًا ، وهو مؤدب الرشيد العباسى وابنه الأمين ، أصله من أولاد فارس ، وأخباره مع علماء الأدب فى عصره كثيرة ، وله تصانيف . انظر الأعلام (٥/ ٩٣) .

(٣) هو هارون بن محمد بن المنصور ، أبو جعفر الرشيد ،خامس خلفاء الدولة العباسية ولد سنة (١٤٨هـ) بالرى حين كان أبوه أميرًا عليها وعلى خراسان ، أمه الخيزران أم الهادى ، كان أبيض جميلاً طويلا فصيحا له نظر فى العلم والأدب ، كان كثير الغزوات ، حازما كريما متواضعا ، يحج سنة ويغزو سنة ، وكان يطوف أكثر الليالى على رعيته متنكرًا ، ووزرائه البرامكة ، وقاضيه أبو يوسف ، وشاعره مروان بن أبى حفصة ، وحاجبه الفضل بن الربيع ، وزوجته زبيدة . بويع بالخلافة بعهد من أبيه ومات فى الغزو بطوس من خراسان ودفن بها سنة (١٩٣هـ) وعمره خمس وأربعون سنة . انظر الأعلام (٩/ ٤٣) . وسبائك الذهب (٨٥) .

الأمين[1] والمأمون [2] قال : فلم ألبث أن أقبلا ككوكبى أفق يـزيّنهما هديهما ووقارهما ، قـد غضا أبصـارهما وقاربـا خطوهما حتى وقفـا على مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء ، فاستدناهما فأجلس محمدًا عن يمينه وعبد الله عن شماله ، ثم أمرنى أن ألقـى عليهما أبوابًا من النحو ، فما سألتهما عن شىء إلا أحسنا الجواب عنـه ، فسرّه سرورًا استبنته فيـه ، وقال لى : كيف تراهما ؟ فقلت :

أرى قمرى أفـق وفرعى بشـامة[3] يـزينهما عـرق كـريـم ومحتـد
سليلى أمير المؤمنين وحـائزى مـواريث مـا أبقى النبى محمـد
يسـدان أنفـاق النفـاق بشيمـة يـؤيـدهـا حـزم وعضبٌ مهنـد[4]

ثم قلت : ما رأيت - أعـز الله أمير المؤمنين - أحدًا من أبنـاء الخلافة ، ومعدن الـرسالة ، وأغصـان هذه الشجرة الـزكية أذْرَبَ [5] منهما ألسنـا ، ولا

---

(١) هو أبو عبد الله محمد الأمين ، ولى الخلافة بعد أبيه ، كان من أحسن الشباب صورة ، ذا قوة وشجاعة ، وله فصاحة وبـلاغة وأدب وفضيلة ، ولكنه كان سىء التدبير كثير التبذيـر ، وقعت الوحشة بينـه وبين أخيه المأمـون ، وقتل ببغداد سنة (١٩٨هـ) وله سبع وعشرون سنة .

(٢) هو أبو العباس عبد الله المأمون ، ولد سنة (١٧٠هـ) ، استقل بالخلافة بعد قتل أخيه سنة (١٩٨هـ) ، برع بالفقه والعـربية ، ولما كبر عنى بالفلسفة وعلـوم الأوائل فجرّه ذلك إلى تبنى القول بخلق القرآن وأحدث فتنـة عظيمة فى الدين ، لم يكن فى الخلافة من بنى العباس من هو أعلـم منه ، وكان ذا شجاعة وهيبـة ومحاسن كثيرة ، لولا ما أتاه من محنـة خلق القرآن . تـوفى سنة (٢٢٨هـ) فى أرض الروم ونقل إلى طـرسوس ودفن بها .

(٣) بشامة : (البَشَام) شجر طيب الريح يُستاك به .

(٤) عضبٌ مهند : (المُهَنَّد) السيف من حديد الهند .

والمعنى : السيف القاطع الهندى . ويقال أيضًا : السيف الهندوانى .

(٥) أذْرَبَ : أطْوَلَ .

أحسن ألفاظًا ، ولا أشد اقتدارًا على تأديـة ما حفظا ورويا منهما ، أسأل الله أن يزيـد بهما الإسلام تأييدًا وعزًا ويُـدخل بهما على أهل الشرك ذلاً وقمعًا ، وأمّن الرشيـد على دعائى ، ثم ضمهما إليـه وجمع عليهما يديـه فلم يبسطهما ، حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره .

أقام المنصور[1] ذات يوم ابنه صـالحًا ، فتكلم بكلام بليغ وفى المجلس المهدى[2] وهـو ولى عهده ، فـأشار المنصـور إلى الحاضرين بأن يصف أحـد كلامه، فكلهم كره ذلك بسبب المهـدى ، فابتدر شَبِيب بن شَيبةَ[3] وقال :

---

(١) هو أبو جعفر عبد الله المنصور - أمير المؤمنين . ولد سنة (٩٥هـ) ، وأدرك جده ، ولم يرو عنه ، بويع بالخلافة بعهد مـن أخيه ، وتولى الخلافة وعمره إحدى وأربعين سنة . أول ما فعل بعـد تولى الخلافـة أن قتل أبا مسلم الخراسـانى صاحب دعـوتهم وممهد مملكتهم ، وكان أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين ، كان ذا هيبة وشجاعة وجبروت ، تاركا للهو واللعب ، كامل العقل ، جيد المشاركة فى العلم والأدب ، قتل كثيرًا حتى استقام ملكه . كانت خلافته ثنتين وعشرين سنة . توفى سنة (١٥٨هـ) .

(٢) هـو أبـو عبد الله محمـد المهـدى بن أبى جعفـر المنصور - أمير المؤمنين ، ولـد سنـة (١٢٧هـ) . أمه أم موسى بنت منصور الحميرية . كان جوادًا محببًا إلى الرعية ، حسن الاعتقـاد ، تتبع الزنـادقـة وأفنى منهم خلقًا كثيرًا، وهـو أول من أمـر بتصنيف كتب الجدل على الزنـادقة والملحدين . بويع بـالخلافة لما مات أبوه ، وفى سنـة (١٥٩هـ) بايع لولاية العهـد لولديه موسى الهادى ، ثم من بعده هـارون الرشيد . توفى رحمه الله سنة (١٦٩هـ) .

(٣) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمى المنقرى الأهتمى ، أبو معمر ، أديب الملوك، وجليس الفقـراء ، وأخـو المسـاكين ، من أهـل البصرة كـان يقـال لـه : الخطيب لفصـاحته، وكـان شريفًا ، ومن الـدهاة ، ينـادم الخلفاء ، ويفـزع إليه أهل بلـده فى حوائجهم . انظر الأعلام (٣/ ١٥٦) .

والله يـا أمير المؤمنين ما رأيت كـاليوم أبين بيـانًا ولا أجـرى لسانًـا ولا أرطب جنانًـا ولا أبلّ ريقًا ولا أحسن طريقًا ولا أغمض عـروقًا [١] ، وحق لمن كـان أمير المؤمنين أباه والمهدى أخاه أن يكون كذلك كما قال زهير[٢] :

هـو الجواد فإن يلحق بشأوهما [٣] على تكـاليفـه فمثلـه لحقـا

أو يسبقـاه على مـا كـان من مهل فمثل مـا قـدما من صـالح سبقـا

ومن أحسن ما رصّع به تاج النجباء ، ووسط به عقد الأبناء ، ولد مولانا السلطان الملك العزيز[٤] الذى مـلأ عينه قـرة ، وقلبه مسرة ، والتهـم بمعالى الأمور قبل الفطـام ، فلعب بالـرمح ورمى بالسهـام ، فمخايل النجـابة من أعطافه[٥] لائحـة ، ودلائل السعادة عليـه غاديـة ورائحة ، وكيف لا يكـون كذلك ومولانا السلطان كافله ومربيه ، والمولى الملك الصالح أخوه ابن أبيه،

---

(١) أغمض عروقا : أصوب وأجود .

(٢) هـو زهير بن أبى سلمى ربيعـة بن ربـاح المزنى ، من مضر ، حكيم الشعـراء فى الجاهلية ، وكان لزهير فى الشعـر ما لم يكن لغيره - كان أبوه شاعرًا ، وخـاله شاعرًا ، وأخته سلمى شاعـرة ، وابناه كعب وبجير شاعرين ، وأخته الخنساء شـاعرة ، وكان ينظم القصيـدة فى شهر وينقحهـا فى سنـة ، فكانـت قصائده تسمى « الحوليـات » انظر: الأعلام (٧/ ٨٧) والأغاني طبعة الدار (١٠/ ٢٨٨، ٣٢٤) .

(٣) بشأوهما : بسبقهما . يقـال (الشَّأوُ) الغايـة والأمـد . و(الشَّأو) أيضا السبق . يقـال (شَأَهُمْ شَأوًا) أى سبقهم . وفى المحكم . شاءنى الشىء : سبقنى .

(٤) هـو الملك العزيـز الظاهـر - صاحـب حلب - محمد ابن السلطـان الملك الظاهـر غياث الدين غازى بن الناصر صلاح الديـن الأيوبى فاتح القدس ، وهو وأبوه وابنه الناصر أصحـاب ملك حلب ، وكان حسن الصـورة كريمًا عفيفًا ، تـوفى وسنه أربع وعشرون سنة . انظر البداية والنهاية (١٧/ ١٤٨) .

(٥) أعطافـه : (عِطْفَا) الرجل جـانباه من لـدن رأسه إلى وركيه ، وكـذا عطفا كل شىء جانباه .

وهو كما قيل :

من يكن أنجب فى الناس بنوه	فسليل المجد من أنت أبوه
بالبنين ابن تجلى وجهه	عن سرور ضحكت فيه الوجوه
نطقت عن فضله آلاؤه[1]	قبل أن ينطق بالحكمة فوه
نير طالعه مطلعه	فى سماء الملك والبدر أخوه
إنما أملا كنا أفلا كنا	ومصابيح الدُّجَى من ولدوه

قال المفضل بن زيد : نزلت علىّ بنو تغلب فى بعض السنين وكنت مشغوفًا بأخبار العرب أحب أن أسمعها وأجمعها ، فإنى لفى بعض أحياء العرب إذا أنا بامرأة واقفة فى فناء خبائها[2] ، وهى آخذة بيد غلام ، فلما رأيت شبيهه فى حسنه وجماله ، له ذؤابتان[3] مضفورتان كالسبح المنظوم ، وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب يقبله السمع ويترشقه القلب، وأكثر ما أسمع من كلامها: يا بنى وأى بنى ، وهو يتبسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يحير جوابًا ، فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت، فدنوت فسلمت فرد علىّ السلام ، ووقفت أنظر إليها ، فقالت : يا حضرى[4] ما حاجتك ؟ قلت : الاستكثار مما أسمعُ منكِ والاستمتاع من حسن هذا الغلام ، فتبسمت المرأة وقالت : يا حضرى إن

(١) آلاؤه : نِعمه .
(٢) خَبائها : (الخِبَاء) واحد (الأخبية) من وبر أو صوف، ولا يكون من شعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت .
(٣) ذؤابتان : (الذُّؤابةُ) الشعر المضفور من شعر الرأس ، والجمع (ذوائب) .
(٤) حضرى : (الحاضرة) ضد البادية ، وهى المدن والقرى والريف ، والبادية ضدها . يقال : فلان من أهل الحاضرة ، وفلان من أهل البادية ، وفلان (حَضرِىّ) وفلان (بَدَوِىّ) .

شئت أن أسوق إليك ، من خبره ما هو أحسن من منظره ، قلت : هاتِ ، قالت : حملتُهُ تسعة أشهر حملاً خفيفًا خفيًا والعيش كدر والرزق عسر، حتى إذا شاء الله أن أضعه وضعته خلقًا سويًّا ، فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى رزق الله فأفضل ، وأعطى فأجزل ، ثم أرضعته حولين كاملين ، حتى إذا استتم الرضاعة نقلته من خرق المهد إلى فراش أبويه ، فربى بينهما كأنه شبل أبواه يقيانه برد الشتاء وحر الهجير[1] ، حتى إذا تمت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظ القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورغب فى مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلم حملته على عتاق[2] الخيل فتمرس[3] ، وتفرس[4] ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحى، وأصغى إلى صوت الصارخ وأنا عليه وجلة ، أحرسه من العيون أن تصيبه ، ومن الألسن أن تعيبه ، إلى أن نزلنا منهلاً من المناهل وشاء الله أن أصابته وعكة شغلته ، فركب فتيان الحى لطلب ثأر لهم حتى لم يبق فى الحى أحد غيره ونحن آمنون ، فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأسفر الصبح حتى طلعت علينا غرر[1] الجياد ، ثوارا غير زوار ، فما كان إلا هنيهة حتى حازوا الأموال من دون أهلها ، وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستر عليه الخبر

---

(١) الهَجِيرُ : نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٢) عتاق : يقال : فرس (عتيق) أى جواد رائع ، والجمع (عتاق) .

(٣) تمرس : (التمرس) شدة الالتواء والعلوق . و (المِرَاسُ) الممارسة والمعالجة ، أى أصبح شديد الممارسة .

(٤) تفرس : (التفرس) التحذق ، أى أصبحَ حاذقًا فى الأمر . و(الفِرَاسَة) بالكسر الاسم من قولك (تَفَرَّسْتُ) فيه خيرًا ، وهو (يتفرس) أى يتثبت وينظر ، تقول منه رجل (فارسُ) النظر . وفى الحديث : « اتقوا فَرَاسة المؤمن » .

(٥) غرر : (الغرةُ) بياضٌ فى جبهة الفرس فوق الدرهم . يقال : فرس (أَغَرُّ) .

إشفاقًا وحذرًا عليه ، إلى أن علت الأصوات وبرزت المخبآت ، فثار كما يثور الأسد المغضب ، فأمر بإسراج فرسه وصب عليه سلاحه وأخذ رمحه وركب حتى لحق حماة القوم ونحن ننظر إليه ، فطعن فارسًا فرماه وانحاز متميزًا ، وانصرفت إليه وجوه الفرسان فرأوا غلامًا صغيرًا فحملوا عليه ، وأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو له، حتى إذا ما دهموه عطف عليهم فطعن أدناهم منه فقطره ومرق كما يمرق السهم من الرمية ، وقال : خلوا عن المال ، فوالله لا رجعت إلا به أو لأهلكن دونه ، فتداعت[1] إليه الفرسان ، وتمايل إليه الأقران ، فرجعوا وقد نصبوا له الأسنة ، وقلّصوا[2] له الأعنة[3] ، وجعلنا من وراء ظهره ، وجعل يهدر كما يهدر الفحل ، ولا يحمل على ناحية إلا طحنها ، ولا يقصد فارسًا إلا قتله ، وكل ذات رحم منا باسطة يدها إلى الله تعالى بالدعاء له إشفاقًا عليه ووجدًا به ، إلى أن كشفهم عن المال وقد أشرفت أوائل خيل الحى ، فكبّر الناس وولى القوم منهزمين ، فوالله ما رأينا يومًا كان أقبح صباحًا ولا أحسن رواحًا من ذلك اليوم ، ولقد سمعته ينشد أبياتًا بعد منصرفه من الحرب وهى :

تأملن فعلى هل رأيتن مثله

إذا حشرجت نفس الكَمىّ[4] بعد الكرب

---

(١) فتداعت : اجتمعوا ودعا بعضهم بعضا .

(٢) قلّصوا : (قَلَصَ) الشىء ارتفع . وكذا (قَلّص تقليصا) و (تَقَلّص) كله بمعنى انضم وانزوى .

(٣) الأعنة : (العِنَان) للفرس وجمعه (أعِنَّة) .

(٤) الكَمِىّ : الشجاع . و (المُتَكَمِىّ) فى سلاحه أى المتغطى المتستر بالدرع والبيضة والجمع (الكُمَاة) .

وضـــاقــت عليــه الأرض حتى كـأنــه
من الخــوف مسلـوب العـزيمـة والقلب
ألم أعط كـــلاً حقـــه ونصيبـــه
من السمهرى[1] اللدن[2] والصَّارم[3] العضب
أنـا ابن أبـى هنـد بن قيس بن خـالـد
سـليل المعـالى والمكـــارم والحـــرب
أبى لى أن أعطى الظّـلامـة[4] مرهف[5]
رقيـــق وطــرف مجفــر الجـوف والجنـــب
وعـــزم صحيح لـــو ضربت بحـــده
شماريخ[6] رَضْـوَى[7] لانحططن إلى الـترب
فـإن لم أقـــــاتـل دونكـنّ وأحتمـى
لكـــنّ وأحميـــكنّ بالطعـــن والضــــرب

(١) السَّمْهـرىّ : الـرمحُ الصّليب العـود . و (السَّمْهريَّـة) القنـاة الصـلبـة . وقيل : هى منسوبة إلى (سَمْهـر) اسم رجل كان يُقوّم الرماح ، يقـال : رمح (سَمْهَرِىّ) ورماح (سَمْهَرِيّة) .

(٢) اللدن : رمح (لَدْنٌ) أى لين . ورماح (لُدْنٌ) بالضم .

(٣) الصّارم : (صرَم) الشىء قطعه . و (الصَّارِم) السيف القاطع .

(٤) الظُّلامة : و (الظَّليمـة) و (المظْلَمَة) بفتح اللام ما تطلبه عنـد (الظالم) وهو اسم ما أخذه منك .

(٥) مرهف : (أرْهَفَ) سيفه رققه فهو (مُرْهَف) .

(٦) شماريخ : (الشَّمارِيخُ) رُءوسُ الجبال .

(٧) رَضْوَى : جبل با لمدينة .

وأبـــذل نفسًـــا دونكنّ عـــزيـــزة

علىّ لأطـراف القَنَـا [1] وظبـــا القَضْب[2]

فما صـــدق الـــلاتـى سعين إلى أبى

يهنينـــه بـــالفـــارس البطل النـــدب [3]

* * *

(١) القَنَا : جمع (قَنَاة) وهى الرمح ويجمع على (قَنَوات) .

(٢) القضب : القطع .

(٣) البطل الندب : رجلٌ (نَدْبٌ) أى خفيف فى الحاجة رشيق .



الباب السادس
فى ذكر الحمقى منهم

قيل : إن الحمق يتولد غريزة ولا يتغير . وأما الرّعُونةُ[1] فإنها تحدث من مخالطة النساء وتزول . وأنشد بعضهم :

وعلاج الأبدان أيسر خطبا   حين تعتل من علاج العقول

قال رجل لابنه وهو يختلف إلى المكتب : فى أى سورة أنت ؟ قال : فى لا أقسم بهذا البلد ، ووالدى بلا ولد . فقال : لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد .

وجّه رجل ابنه ليشترى له حبلا طوله عشرون ذراعا ، فعاد من بعض الطريق وقال : يا أبى فى عرض كم ؟ فقال : فى عرض مصيبتى بك .

قيل لأعرابى : كيف ابنك ؟ قال : عذاب رعف[2] به علىّ الدهر ، وبلاء لا يقوم معه الصبر . ونظر أعرابى إلى ابن له قبيح فقال : يا بنى إنك لست من زينة الحياة الدنيا ، وقال أحمق لابنه وكان أحمق أيضا : أىّ يوم صلينا الجمعة فى مسجد الرصافة ؟ فقال : لقد أُنسيت ، ولكنى أظنه يوم الثلاثاء ، قال : صدقت كذا كان .

---

(١) الرّعُونةُ : الحمقُ والاسترخاءُ : يقال : رجل (أرْعَنُ) وامرأة (رَعْنَاء) .
(٢) رعف به : قدم به .

قال أبو زيد الحارثي لابنه : والله لا أفلحت أبدًا ، فقال : لست أحنثك والله يا أبة . طار لابن يزيد بن معاوية باز[1] فأمر بغلق أبواب دمشق لئلا يخرج منها .

حكى أن رجلاً أرسل ابنه ليشترى رأسًا مشويًا ، فاشتراه وجلس فى الطريق فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه وحمل باقيه إلى أبيه ، فقال : ويحك ما هذا ؟ فقال : هو الرأس الذى طلبته . فقال : فأين عيناه ؟ قال : كان أعمى . قال : فدماغه ، قال : كان معلمًا . قال : ويحك رده وخذ بدله ، قال : باعه بالبراءة من كل عيب .

مرض صديق لحامد بن العباس[2] فأراد أن ينفذ إليه ابنه يعوده فأوصاه وقال : إذا دخلت فاجلس فى أرفع المواضع ، وقل للمريض: ما تشكو ، فإذا قال: كذا ، وكذا فقل : سليم إن شاء الله . وقل له : من يجيئك من الأطباء ، فإذا قال فلان فقل : مبارك ميمون ، وقل له : ما غذاؤك ، فإذا قال: كذا وكذا فقل: طعام محمود ، فذهب الابن فدخل على العليل وكانت بين يديه منارة[3] فجلس عليها لارتفاعها فسقطت على صدر العليل فأوجعته ، ثم جلس فقال للعليل : ما تشكو ؟ فقال بضجرة : أشكو علة الموت ، فقال :

---

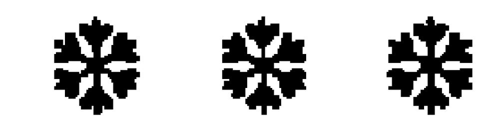
(١) باز : نوع من الصقور .

(٢) هو حامد بن العباس ، أبو محمد . وزير ، من عمال العباسيين ، كان يلى نظر فارس وأضيفت إليها البصرة ، ثم طُلب إلى بغداد وولى الوزارة للمقتدر سنة (٣٠٦هـ) وانتهى أمره بأن عزله المقتدر ، وقبض عليه وأرسل إلى واسط فمات فيها مسمومًا سنة (٣١١هـ) ، وكان جوادًا ممدّحًا . انظر الأعلام (٢/ ١٦٦) والمنتظم (٦/ ١٨٠) .

(٣) منارة : (المَنَارُ) علم الطريق . و(المَنَارَة) التى تؤذن عليها . والمَنَارة) أيضا ما يوضع فوقها السراج . والجمع (المَنَاوِرُ) بالواو لأنه من النور .

سليم إن شاء الله . ثـم قال : فمن يجيئك من الأطبـاء ؟ قال : ملك الموت ، قال : مبارك ميمـون . ثم قال : فما غذاؤك ؟ قال : سـم الموت ، قال : طعام طيب محمود .

قال أبو المخش الأعرابي : كانت لي بنـت تجلس على المائدة فتبرز كفًّا كأنها طلعــة في ذراع كأنها جُمّارة[1] ، فـلا تقع عينهــا على أكلـة نفيسـة إلا خصتني بها ، وصرت أجلــس معي على المـــــائدة ابنًـا لي فيبرز كفًّـا كأنها كرنافةٌ[2] في ذراع كأنها كربة ، فوالله إن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها.



---

(١) جُمارة : (الجُمّار) بالضم والتشديد شحم الأذن .

(٢) كرنـافةٌ : (الكِرْنَـافُ) بالكسر أصول الكَـرَب التي تبقى في جذع النخلـة بعد قطع السعف . وما قطـع مع السعف فهو الكــرب . الواحدة (كرنَافَـة) وجمع الكرنافـة (الكَرَانِيف) .

الباب السابع
فى محبة الآباء للأبناء

رأى الإمام على[1] - كرم الله وجهه - الحسن[2] يتسرع إلى الحرب فقال: املكوا عنى هذا الغلام لا يهدُّنى فإنى أنفس بهذين[3] على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ.

جاءت فاطمة رضى الله عنها بابنيها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله انحلهما [4]، فأخذ الحسن فقبله وأجلسه على فخذه اليمنى

---

(١) هو الإمام على بن أبى طالب بن عبد المطلب ،ا بن عم الرسول ﷺ، أول من أسلم من الصبيان، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، تربى فى حجر الرسول ﷺ، كان اللواء بيده فى أكثر المشاهد والغزوات، بويع له بالخلافة بعد قتل عثمان رضى الله عنه، أول خليفة من بنى هاشم، طعنه ابن ملجم الخارجى، وتوفى بعد ذلك بيومين سنه (٤٠ هـ) ودفن بالكوفة . انظر البداية والنهاية (٧-٢٢٣) . والاستيعاب (٣/ ٢٦) .

(٢) هو الحسن بن على بن أبى طالب، أبو محمد . القرشى الهاشمى، سبط رسول الله ﷺ. ولد سنة ثلاث من الهجرة، حنكه رسول الله بريقه وسماه حسنًا، كان من أكرم الناس، وكان كثير التزوج، زهد فى الخلافة فصالح معاوية وبايعه خليفة للمسلمين حقنًا للدماء . توفى وهو ابن سبع وأربعين سنة عام (٤٩ هـ).

(٣) أنفس : (نَفِس) به أى ضَنَّ . ومعنى أنفس بهذين : أضنن بالحسن والحسين .

(٤) انحلهما : (النُّحْلُ) بالضم مصدر (نَحله) يَنْحلُه بالفتح (نُحْلا) أى أعطاه . و(النِّحْلى) العطية . و(نَحَل) المرأة مهرها ينحلها (نِحْلَه) بالكسر أعطاها عن طيب نفس .

وقال : أمـا ابنى هذا فنحلتـه خلقى وهيبتى ، وأخذ الحسين[1] فقبله ووضعه على فخذه اليسرى وقال : نحلته شجاعتى وجودى .

مر أعـرابى بقوم وهو ينشد ابنًـا له ، فقالوا : صفـه ، فقال : دنيْنير[2] ، قالوا: لم نره فلم ينشب أن جاء على عنقه بشبيه الجُعَل[3] ، فقالوا : لو سألتنا عن هذا لأخبرنـاك به . ولا حرج على هـذا الأعرابى فإن الإنسان قـد تبلغ به محبـة ولده أو أخيـه أو غيرهما إلى أنه لا يـرى له فى العـالمين نظيرًا ، وقد قـال الشاعر :

وعين الرضـا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تُبدى المساويا

وفى المثل قالت الخنفساء لأمها: مـا أمر بأحد إلا بَزَق[4] علىَّ. فقالت : من حسنك تعوذين . والعامة تقول : قالوا : من يصف العروس ؟ قيل : أمها وتحلف . وقيل لأبى المخش : أما كان لك ابن ؟.

---

(١) هو الحسين بن على بن أبى طـالب - أبو عبد الله القرشى الهـــاشمى - سبط رسول الله ﷺ . ولد سنة أربع من الهجرة ، امتنع عن بيعة يـزيد بن معاوية ، خرج بأهله إلى الكـوفة ، ولم يكن يعلم بـرجوع أهل العـراق عن بيعته ، تقـاتل مع جيش يزيـد فى كربلاء واستشهـد هو وجميع من معه من الرجال سنة (٦١هـــ) وله من العمر أربع وخمسون سنة .

(٢) دنيْنير : تصغير دينار .

(٣) الجُعَل : دُوَيِّبة .

(٤) بَزَق : (البزقُ) البصْقُ .

قال : بلى المخش ، كان أشدق خرطمانيًا [1] ، إذا تكلم سال لعابه كأنما ينظر من فلسين [2] كأن ترقـوته بوانٌ [3] أو خالفه وكأن مشـاشة منكبيه [4] كركرة جمل [5]. فقأ الله عينى إن كنت رأيت بها أحسن منه قبله ولا بعده .

وقال الزبير بن العوام [6] فى ترقيص ابنه عبد الله [7]:

---

(١) أشدق : (الشَّـدَقُ) جانب الفم وجمعـه (أشْدَاقٌ). و(الشَّدَقُ) سعـة الشدق ، أو طفطفة الفم من باطن الخدين .

و (الخرطمان) الطويل .

(٢) فلسين : درهمين . وجمع (الفَلْس) فى القلة (أفْلُس) وفى الكثير (فُلوس) .

(٣) ترقوته بِوانٌ : (التَّرْقُوة) العظم الـذى بين النحر والعاتق . و (البِوانُ) هو عمود من أعمدة الخباء .

(٤) مُشاشَةُ منكبيه : ما أشرف من عظم منكبيه .

(٥) كركرة جمل : (الكرْكرةُ) رَحَى زور البعير أو صَدْرُ كل ذى خف .

(٦) هـو الزبير بن العـوام بن خويلـد بن أسد بن عبـد العزى الأسـدى ، أبو عبـد الله ، حوارى رسول الله وابن عمته صفية ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، أسلم وله اثنتا عشرة سنة ، هاجر الهجـرتين . قال عروة عنه : كان الزبير طـويلاً تخط رجلاه الأرض إذا ركب ، شهد فتح مصر ، قتل راجعًا من وقعة الجمل بوادى السباع سنة (٣٦هـ) وله من العمر سبع وستون سنة . انظر الإصابة (١/ ٥٢٦) .

(٧) هو عبـد الله بن الزبير بن العوام ، أمير المؤمنين . أمه أسماء بنت أبى بكـر الصديق ، هـاجرت بـه حملاً ، وولدتـه بعد الهجـرة بعشرين يومًـا ، أول مولـود ولد فى الإسـلام بالمدينـة ، كان فصيحا ذا لسـانة وشجاعـة ، وكان أطلس لا لحية لـه ، قدم مصر فى خلافة عثمان ، وشهد فتح أفريقية ، بويع له بـالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ) أقام فى الخلافة تسع سنين إلى أن قتله الحجاج بمكة سنة (٧٣هـ) . انظر الإصابة (٢/ ٣٠١) .

أزهر[1] من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق

ألذه كما ألذ ريقي

وقال رجل : دخلت على ابن السراج[2] وفى حجره ولد له وهو يقول :

أحبه حب الشحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم ناله

وقال الحسن البصرى[3] رضى الله عنه لابنه :

يا حبذا أرواحه ونَفَسُهْ وحبذا نسيمه وملمسه

والله يبقيه لنا ويحرسُهْ حتى يجر ثوبه ويلبسه

---

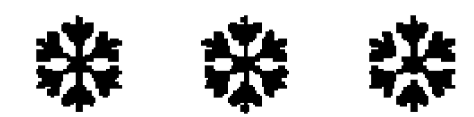
(١) أزهر : (الأزْهَر) النيِّر ويسمى القمر الأزهر . و (الأزْهَرَان) الشمس والقمر . ورجل (أزْهَر) أى أبيض مشرق الوجه والمرأة (زَهْراء) و (أزْهَر) النبت ظهر زهره .

(٢) هو محمد بن سعيد الملك بن محمد الشنتمرى الأندلسى - أبو بكر بن السَّرَّاج ، من أئمة العربية فى الأندلس ، رحل إلى مصر واليمن ، وتوفى بمصر سنة (٥٤٩هـ) ، من كتبه « تنبيه الألباب فى فضل الأعراب » و « مختصر العمدة لابن رشيق ». انظر : الأعلام (٧/ ١٠) . ونفح الطيب (١/ ٤٤٢) .

(٣) هو الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد . الإمام الثقة الفقيه ، الزاهد الفصيح . كان أبوه مولى لزيد بن ثابت ، ولد فى عهد عمر بن الخطاب ، وحنكه ودعا له ، تربى فى كنف الإمام علىّ رضى الله عنه ، اتخذه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية كاتبا لنفسه . سكن البصرة ، وعظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ولا يخاف فى الحق لومة لائم . أخذ عن كثيرين منهم مالك بن دينار ، وابن أبى الدنيا وغيرهما . توفى سنة (١١٠هـ) بالبصرة . انظر : البداية والنهاية (٩/ ٢٦٦) . وميزان الاعتدال (١/ ٢٥٤) .

وكان عبـد الله[1] بن عمـر بن الخطـاب رضى الله عنـه يذهب بـولـده سالم[2] كل مذهب حتى لامه الناس فيه فقال :

يلـومـوننى فى ســالم وألــومهم　　　　وجلـدة بين العين والأنف سـالم



---

(١) هو عبد الله بن عمـر بن الخطاب القرشى العدوى ، أبـو عبد الرحمن ، أسلم ولم يبلغ الحلم ، هـاجـر وعمـره عشر سنين - شقيق حفصـة أم المؤمنين ، شهـد اليرمـوك والقـادسية وجلـولاً وكثير من المواقع ، شهـد فتح مصر واختط بها دار البركة ، كـان يتتبع رسـول الله ﷺ ، وكـان يقوم أكثـر الليل ، روى عن النبى ﷺ أحـاديث كثيرة ، قال مـالك : بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنـة وأفتى فى الإسلام ستين سنة ، تـوفى سنة أربع وسبعين . انظر : البداية والنهاية (٩ / ٤ - ٥) .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبـو عمر ، وقيل أبو عبد الله ، أحد الأئمة الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان أشبه أولاد عبد الله بأبيه ، توفى بالمدينة بين سنة (١٠٦ ، ١٠٧ هـ) ، روى عن أبيه وأبى هريرة وغيرهما ، وروى عنـه ابنه أبو بكر وابن شهاب وخلائق لا تحصى .

الباب الثامن
فيما يجب لهم على الآباء

ينبغي للوالد أن لا يسهو عن تأديب ولده ، ويحسّن عنده الحسن ويقبّح عنده القبيح ، ويحثه على المكارم وعلى تعلم العلم والأدب ويضربه على ذلك .

قال النبي ﷺ : « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه »[1].

عن عمرو بن دينار [2]أن ابن عمر وابن عباس كانا يضربان أولادهما على اللحن .

---

(١) أورده الزبيدى فى الإتحاف (٦ / ٣١٨) كتاب آداب الأخوة والصحبة والمعاشرة - باب حقوق الوالدين والولد ، عن عائشة . وقال : فيه عبد الصمد بن النعمان وهو ضعيف .
وأورده صاحب كنز العمال (١٦/ ٤١٧) باب بر الأولاد وحقوقهم . وقال : رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة .
وانظر القرطبى (١٨/ ١٩٥) . وحلية الأولياء (١/ ١٨٤) .

(٢) هو عمرو بن دينار الجمحى بالولاء ، أبو محمد الأثرم ، فقيه ، كان مفتى أهل مكة ، فارسى الأصل ، من الأبناء ، ولد سنة (٤٦هـ) ، قال شعبة : ما رأيت أثبت فى الحديث منه ، وقال النسائى : ثقة ثبت . وقال ابن المدينى : له خمسمائة حديث . انظر : الأعلام (٥/ ٢٤٥) وتهذيب التهذيب (٨ / ٣٠) .

قال النبى ﷺ : « تخيروا لنطفكم »[1] . وقال عليه الصلاة والسلام : « انظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس »[2] . وقال عليه الصلاة والسلام : « أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم »[3].

---

(١) أخرجه الدارقطنى فى سننه (٣/ ٢٢٩) كتاب النكاح ، عن عائشة ، ولفظه : « تخيروا لنطفكم ، لا تضعوها إلا فى الأكفاء » .

وأورده الزيلعى فى نصب الراية (٣/ ١٩٧) كتاب النكاح - فصل فى الكفاءة ، عن عائشة ، ولفظه « تخيروا لنطفكم ، أنكحوا الأكفاء » . وقال : هذا الحديث روى عن طريق عائشة ، وعن طريق أنس ، وعن طريق عمر بن الخطاب ، من طرق عديدة كلها ضعيفة ، والكلام عليه فى كتاب (الإسعاف بأحاديث الكشاف) فى أول سورة النساء .

وانظر علل الحديث (١/ ٤٠٣) . والكنز (١٦/ ٣٠١) . وحلية الأولياء (٣/ ٣٧٧) .

(٢) أورده الزبيدى فى الإتحاف (٥/ ٣٤٨) وقال : روى أبو موسى المدينى فى كتاب (تضييع العمر والأيام) من حديث ابن عمر . وقال : وطرق الحديث ضعيفة .

وأخرجه صاحب الإحياء (٢/ ٤٢) كتاب آداب النكاح - باب فيما يراعى حالة العقد .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢/ ١٢١١) كتاب الآداب - باب بر الولد والإحسان إلى البنات ، عن أنس بن مالك .

وأورده الذهبى فى الميزان (١/ ١٤٤) .

وانظر الخطيب البغدادى فى تاريخه (٨/ ٢٨٨) . والترغيب (٣/ ٧٢) . فعلى الآباء مراعاة أدب أبنائهم ، وتشذيب أغصانهم ليشبوا على الكمال ، ويترعرعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فتزدهر دوحتهم مثمرة منتجة مظللة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما نحل والد ولده أفضل من عمل صالح »[1].

وقال أبو حيان التوحيدى[2] رحمه الله : يجب على الرجل أن يستقبل عمره بولده ليستمتع كل منهما بصاحبه ، وأن يمهد له المعيشة ، وأن يختار أمه واسمه ويختنه ويؤدبه ولا يستأثر دونه ، وأن يختار له زوجة صالحة ومعيشة جميلة كافية ، وأن يكفيه العار وسوء الحديث .

وفى الحديث : « من كان له صبى فليستصب له »[3].

قرأت فى ربيع الأبرار للزمخشرى [4]قال : من حق الولد على والده أن

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٤/ ٣٣٨) كتاب البرو الصلة - باب ما جاء فى أدب الولد ، ولفظه « ما نحل والدٌ ولدًا من نحل أفضل من أدب حسن » وقال : هذا عندى حديث مرسل .
ورواه كذلك الإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٧٧) بلفظ « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » . وكذلك الحاكم فى المستدرك (٤/ ٢٦٣) وانظر مشكاة المصابيح (٢) كتاب الآداب .

(٢) هو على بن محمد بن العباس التوحيدى ، أبو حيان . فيلسوف ، متصوف معتزلى ، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء . ولد فى شيراز - أو فى نيسابور - وأقام مدة ببغداد ، وانتقل إلى الريّ ، فصحب ابن العميد والصاحب ابن عباد ، وشى به إلى الوزير المهلبى فطلبه ، فاستتر منه ، ومات فى استتاره سنة (٤٠٠هـ) . انظر الأعلام (٥/ ١٤٤) وميزان الاعتدال (٣/ ٣٥٥) .

(٣) أورده صاحب كنز العمال (١٦/ ٤٥٧) وقال : أخرجه ابن عساكر عن معاوية ، ولفظه : « من كان له صبى فليتصاب له » .

(٤) هو ابن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزمخشرى ، صاحب الكشاف فى التفسير ، والمفصل فى النحو ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، وقد سمع الحديث وطاف البلاد ، وجاور بمكة مدة ، وكان يظهر الاعتزال ويصرح بذلك فى تفسيره ويناظر عليه ، توفى بخوارزم سنة (٥٣٧ هـ) ، وله من العمر ست وسبعون سنة . انظر : البداية والنهاية (١٢/ ٢١٩) .

يوسع عليه ماله كيلا يفسق . وقرأت فى العقد لابن عبد ربه [1] قال : خير الآباء للأبناء من لم يدعه التقصير إلى العقوق .

وإذا راهق [2] الصبى فينبغى لأبيه أن يزوجه فقد ورد فى الحديث :

« من بلغ له ولد وأمكنه أن يزوجه فلم يفعل وأحدث الولد كان الإثم بينهما » [3].

قال الجاحظ [4] : من كان فقيرا وأولد فهو أحمق . وقال العتبى : لا تأت

---

(١) هو ابن حبيب بن جرير بن سالم أبو عمر القرطبى - مولى هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية الأموى ، ولد سنة (٢٧٤هـ) ، كان من الفضلاء المكثرين ، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين ، له كتاب العقد الفريد ، وفيه فضائل جمة وعلوم كثيرة مهمة - قال ابن خلكان : وله ديوان شعر حسن ، توفى بقرطبة سنة (٣٢٨هـ) انظر : البداية والنهاية (١٩٣/١١) .

(٢) راهَقَ الصبى : فهو مَراهِقٌ إذا قارب الاحتلام . والمراهِقُ : الغلام الذى قد قارب الحُلُمَ ، وذلك ابن العشر إلى إحدى عشرة .

(٣) أورده الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس ، ولفظه : « من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثم أحدث حدثًا فالإثم عليه » . وانظر كنز العمال (٤٤٢/١٦) .

(٤) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ . ولد بالبصرة سنة (١٦٠هـ) ونشأ بها ، إمام الأدب وفخر الأمة الإسلامية . أحاط بأكثر العلوم المعروفة فى زمانه تأليفًا وترجمة ، مزج أدبه بالفلسفة والفكاهة ، أول من ألف الكتب الجامعة لفنون الأدب ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرهما ، له أكثر من مائتى كتاب . توفى ببغداد سنة (٢٥٥هـ) .

بالولد إلا بعد معيشة كافية وكفاية باقية وضيعة نامية . وقيل : من أتى بالولد قبل المال فقد ظلم نفسه وولده[١] .

قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرًا سره كبيرًا . وقالوا : أطبع الطين ما كان رطبا وأغمز العود ما كان لدنا . وقال : من أدب ولده غم حاسده . وقالوا : ما أشد فطام الكبير وأعسر منه رياضة الهرم .

وقال عبد الملك بن مروان [٢]: أضرّ بنا فى الوليد[٣] حبّنا له ، وكان الوليد لحانا وهو الذى صلى بالناس فقرأ : ياليتها كانت

---

(١) أخطأ الذين قالوا هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة ؛ لأنهم نسوا قول الله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ أى أن الله عز وجل يبعث الرزق للولد قبل الوالد .

(٢) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، أمير المؤمنين ، والد الخلفاء الأمويين ، كان أميرًا على المدينة وله من العمر ست عشرة سنة ، أول من سار بالناس فى بلاد الروم ، بويع له بالخلافة سنة (٦٥هـ) فى حياة أبيه ، كان حازمًا فهمًا فطنا لأمور الدنيا ، كانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، توفى بدمشق سنة (٨٦هـ) .

(٣) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أمير المؤمنين ، بانى جامع دمشق ، ولد سنة خمسين ، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه سنة (٨٦هـ) ، كان أبواه يترفانه فنشأ بلا أدب وكان لحانًا لا يحسن العربية ، فى عهده غزا بلاد الروم وفتحت الهند والسند والأندلس وأقاليم بلاد العجم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك . بنى صخرة بيت المقدس وعقد عليها قبة ، ووسع مسجد النبى ﷺ ، كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر . انظر : البداية والنهاية (٩/ ١٦١) .

القاضية (بالرفع) وخلفه سليمان بن عبد الملك[1] فقال : عليك .

وقال الرشيد لابنه المعتصم[2] : ما فعل وصيفك ؟ قال : مات واستراح من الكُتّاب ، قال : وبلغ الكتّاب منك هذا المبلغ، والله لا حضرت أبدًا ، ووجّهه إلى البادية فتعلم الفصاحة وكان أميًّا .

---

(١) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أمير المؤمنين ، أبو أيوب . ولد بالمدينة ونشأ بالشام عند أبيه ، بويع بالخلافة سنة (٩٦هـ) بعد موت أخيه الوليد ، كان فصيحًا مؤثرًا للعدل محبًا للغزو ، بليغًا يحسن العربية ، محبًّا للحق وأهله ، واتباع القرآن والسنة ، اتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشارًا له ، ثم كتب له بولاية العهد من بعده . بعث الجيوش لفتح القسطنطينية وخرج معهم وحلف أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت ، توفى هنالك سنة (٩٧هـ) ، وكانت مدة خلافته سنتين وثمانية أشهر .

(٢) هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، ثامن ولد العباس ، وثامن الخلفاء من ذريته ، فتح ثمانى فتوحات ، أقام فى الخلافة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، ولد سنة ثمانين ومائة ، توفى وله من العمر ثمانية وأربعون سنة ، خلف ثمانية بنين وثمانية بنات ، كان أميًّا لا يحسن الكتابة ، كان شهمًا وله همة عالية فى الحرب ، على يديه جرت فتنة الإمام أحمد ابن حنبل وضرب بالسياط بين يديه ، استخدم من الأتراك المماليك خلقًا عظيمًا ، توفى بسر من رأى سنة (٢٢٧هـ) انظر البداية والنهاية (١٠/ ٢٩٥) .

وقال صالح بن عبد القدوس[1]:

وأنّ من أدبتــــهُ في الصِّبــــا كـالعـودِ يُسقى الماءَ في غـرسـهِ

حتّى تَــرَاهُ مــورقًـا نــاضِرًا بعــد الـذى أبصرتَ من يبســه

والشيخُ لا يترك أخــــلاقــهُ حتى يُـوارى في ثَــرَى رمسـهِ[2]

وقال آخر :

لا تسـه[3] عـــن أدبِ الصغيرِ وإن شَكَــــــا ألم التعـب

ودع الكبـــــيرَ لشأنــــه كَبُرَ الكبير عـــــــن الأدب

❋ ❋ ❋

---

(1) هو صالح بن عبد القدوس بن عبـد الله بن عبد القدوس الأزدى الجزامى ، مولاهم ، أبو الفضل . شـاعر حكيم ، كـان متكلما يعظ الناس في البصرة ، لـه مع أبى الهذيل العـلاف مناظـرات ، شعره كلـه أمثال وحكم وآداب ، اتهم عنـد المهدى العبـاسى بالزندقة فقتله ببغداد . انظر الأعلام (٣/ ٢٧٧) . وميزان الاعتدال (١/ ٤٥٧) .

(2) ثرىَ : (الثَّرَى) التراب الندى .

رمسه : (رَمَس) الميت دفنـه . و (أرْمَسَه) أيضًا . و (الرَّمْس) تـراب القبر وهو في الأصل مصدر . و (المرْمَسُ) بوزن المذهب موضع القبر .

(3) تسه : (السَّهو) الغفلة وقد (سَهَا) عن الشيء فهو (سَاهٍ) و (سَهْوانُ) .

الباب التاسع
فى توصية الآباء معلمى أولادهم بهم

قال عمرو بن عتبة يوصى مؤدب ولده : يا أبا عبد الصمد ، ليكن أول إصلاحك بنىَّ إصلاحك نفسك ، فإن عيوبهم معقودة بعيبك . فالحسن عندهم ما فعلت ، والقبيح ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملّهم منه فيكرهوه . ولا تدعهم منه فيهجروه . روّهم من الشعر أعفّه . ومن الكلام أشرفه . ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم . تهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن كالطبيب الذى لا يُعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروّهم سير الحكماء، ولا تتكل على عذر منى ، فقد اتكلت على كفاية منك ، واستزدنى بزيادة منهم أزدك .

وقال العباس بن محمد[1] لمؤدب ولده : إنك قد كفيت أعراضهم فاكفنى آدابهم والتمسنى عند آثارك فيهم تجدنى .

---

(١) هو العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، أبو الفضل الهاشمى ، أمير ، هو أخو المنصور والسفاح ، ولاه المنصور دمشق وبلاد الشام ، وولى إمارة الجزيرة فى أيام الرشيد ، وأرسله المنصور لغزو الروم فى ستين ألفًا ، كان من أجود الناس رأيًا ، وإليه تنسب (العباسية) محلة بالجانب الغربى من بغداد ، دفن فيها ، وكان الرشيد يحبه ويجله ، ولد سنة (١٢١هـ) وتوفى سنة (١٨٦هـ) .
انظر : الأعلام (٤/ ٣٨) ،والنجوم الزاهرة (٢/ ١٢٠) .

قال عبد الملك للشعبى[1] حين أخذه بتعليم ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رِعَة[2] وأقلُّهم أدبًا وعلمًا ، وجنبهم الحشم[3] فإنهم لهم مفسدة ، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم تصح عقولهم وتشتد قلوبهم ، وصقّل رؤوسهم وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا[4]، ومرهم أن يستاكوا غرضا[5] ويمصوا الماء مصًا ولا يعبوا عبًا ، فإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب ، فليكن ذلك فى ستر لا يعلم به أحد من الغاشية[6] فيهونوا عليهم .

❊ ❊ ❊

---

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار ، الشعبى الحميدى ، أبو عمرو . راوية ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه . ولد بالكوفة سنة (١٩ هـ) ونشأ بها . اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره إلى ملك الروم ، كان ضئيلاً نحيفًا ولد لسبعة أشهر ، من رجال الحديث الثقات ، استقضاه عمر بن عبد العزيز ، وكان فقيها شاعرًا ، توفى بالكوفة سنة (١٠٣هـ) . انظر الأعلام (٤/ ١٨) . وحلية الأولياء (٤/ ٣١٠) .

(٢) رِعَةً : تقوى .

(٣) الحشم (حَشَم) الرجل خدمه .

(٤) ينجدوا : يرتفعوا . و (النَّجْد) ما ارتفع من الأرض والجمع (نِجَاد) بالكسر و(نُجود) و (أَنْجُدٌ) و (النَّجْد) الطريق المرتفع .

(٥) يستاكوا : (ساك الشيء) دلكه . (والسِّوَاكُ المِسْواك) قال أبو زيد : جمعه (سُوُك) بضم الواو . و (سَوَّك) فاهُ (تَسْويكا) وإذا قلت (اسْتَاك) أو (تَسَوَّك) لم تذكر الفم .

غرضًا : (الغَرَض) الهدف .

(٦) الغاشية : الزوارُ والأصدقاء .

وكتب شريح القاضى[1] إلى معلم بنىّ له :

تـرك الصـــلاة لا كلب يسعى بها طلب الهِرَاش[2] مع الغواة[3] الرجس

فإذا أتـــاك فعضـــه بمـــلامـــة أو عظـه مـوعظـة اللبيب الأكيس

وإذا هممت بضربـــه فبـــدُرّة[4] وإذا ضربت بها ثـلاثًـا فـاحبس

واعلم بـأنك مـــا فعلت فنفســه مع مـــا تجرعنى[5] أعــز الأنفس

وكتب جـد جدى القـاضى أبـو الفضل هبـة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير ابن أبى جـرادة إلى الفقيـه أبى على بن المعلم ، وكان مـدرس ابنـه أبى غانم محمد بن هبة الله جد أبى قصيدة يستنهضه فيه منها :

---

(١) هو أبـو أمية شريح بن الحارث بن قيـس بن معاوية الكـوفى التابعى ، قـال يحيى بن معين : كان فى زمن النبـى ﷺ ولم يسمع منه ، روى عن عمر بـن الخطاب وعلىّ وابن مسعود وزيـد بن ثابت وغيرهم ، روى ميسرة عـن شريح قال : وُليتُ القضـاء لعمر وعثمان وعلىّ ومعـاوية ويـزيـد وعبـد الملك إلى أيام الحجـاج فـاستعفيت ، وحكى البخارى فى تاريخه وقال : توفى سنة (٧٨هـ) وقد جاوز المائة وعشرين سنة . انظر: البداية والنهاية (٩ / ٧٤) .

(٢) الهِرَاش : المُهَـارشـة بـالكـلاب وهـو تحريـش بعضهـا على بعض . و (التَّهْـريش) التحريش .

(٣) الغواة : (الغَىُّ) الضَّلالُ والخيبـة . وقد (غَوَى) يَغوى بالكسر (غَيًّـا) و (غَوايَة) بالفتـح فهو (غـاوٍ) و (غَو) و (أغْواهُ) غيره فهـو (غَوىّ) قـال الأصمعى : ولا يقال غيره . و (الغَوْغاءُ) من الناس الكثير المختلطون .

(٤) الدُّرة : بالكسر العصا التى يضرب بها .

(٥) تجرعنى : (جَرَّعه) غصص الغيظ (تجريعا فتجرعه) أى كظمه . والمعنى : ماكظمته من غيظ .

أبا عليّ هو الدهرُ الخؤونُ[1] وما يحظَى بجدواهُ إلا الجاهل الغمر
إني لأشكُر ما أوليتَ من حسنٍ حتى أُرى به أسمو وأفتخر
ولو أردت مكافأةً على مِنَنٍ أسديتها لتقضَى دونها العمر
عَهِدتُ فَضلكَ لا يحتاجُ تذكرةً وحسنُ رأيكَ ما فى نفعِهِ ضرر
فكيف بحرِكَ عذبٌ طابَ منهلهُ للواردينَ وفيها خصنى صبر
وكيفَ ترعى حقوقاً غيرَ واجبةٍ وفى أبى غانم تُلغى وتحتقر
فإن يكن ذاكَ عن ذنبٍ خَصصتُ بِهِ فإننى تائبٌ منهُ ومعتذر
راجع سدادكَ فِيهِ فهو إن سمحت به الليالى على أحداثها وزر
واحفظ لهُ حقَّ آباءٍ ومعرفة مضت بتأكيدها الأيامُ والعصر
ولهِ منكَ قسطًا من ملاحظةٍ فما يُرى لكَ فى أهمالِهِ عُذر
فَإنهُ نَبْعَةٌ[2] طابت منابتهُ صلب على العجمِ مافى عوده خَوَر[3]
مغرى بما زاد فى قدر ومنزلة وما تبدى له فى خدهِ شعر
دلائل مخبرات عن نجابتهِ كالنار تخبر عن ضوضائها الشرر
من معشر حلت العلياءَ بينهم يعدُّ شكرهم فخرًا إذا شكروا

* * *

---

(١) الدهر الخؤون : الخائن .

(٢) نبعة : (النَّبع) شجر تتخذ منه القسى وتتخذ من أغصانه السهام . الواحدة (نَبْعَة) ومنه (اليَنْبُوع) عين الماء . والجمع (اليَنَابِيعُ) .

(٣) خور : (الخَوَر) بفتحتين الضعف والانكسار . تقول (خَوِرَ) يَخور (خَوَرا) .

الباب العاشر
فى ذكر كلام الصبيان وجوابهم

مر عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، على صبيان يلعبون فتفرقوا من هيبته ولم يبرح ابن الزبير ، فقال له : مالك لم تبرح ؟ فقال : ما الطريق ضيقة فأوسعها لك ولا لى ذنب فأخاف .

لما ولد للرشيد العباس من واسطة اشمأزت منه نفسه لغلبة السواد عليه ، فتنبأ رجل فى زمان الرشيد فدعا به ، فجعل يُذكره بالله وينهاه عن قوله وهو مقيم على دعواه ، وأولاد الرشيد مصطفون بين يده ، والعباس إذ ذاك لم يجاوز العشر ، فلما رأى الرشيد لزوم الرجل ادعاء النبوة ، أمر بتجريده وضربه، فلما أخذته السياط جعل يضطرب اضطرابًا شديدًا ، فالتفت إليه العباس فقال : اصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، فاستطار الرشيد لها فرحًا وقال : ابنى والله حقًا ، يقول الله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (١).

أدخل الركاض وهو ابن أربع سنين إلى الرشيد ليتعجب من فطنته فقال له : ما تحب أن أهب لك ؟ قال : جميل رأيك ، فإنى أفوز به فى الدنيا والآخرة ، فأمر بدنانير ودراهم فصبت بين يديه ، فقال له : اختر الأحب إليك ، فقال : الأحب إلىّ أمير المؤمنين ، وهذا من هذين . وضرب يده إلى الدنانير ، فضحك الرشيد وأمر بضمه إلى ولده والإجراء عليه .

---

(١) سورة الزخرف آية : (٥٨) .

قال عليّ بن محمد : مر فارس بغلام فقال : يا غلام أين العمران ؟قال : اصعد الرَّابِيَةُ [1] تشرف عليهم ، فصعد فأشرف على مقبرة ، فقال: إن الغلام لجاهل أو حكيم ، فرجع فقال : سألتك عن العمران فدللتنى على مقبرة . فقال : إنى رأيت أهل الدنيا ينتقلون إلى تلك ولم أر أحدًا انتقل إلى هذه ، ولو سألتنى عما يواريك ودابتك لدللتك عليه .

قال الإسكندر لابنه: يا ابن الحجامة[2] ، فقال : أما هى فقد أحسنت التخير وأما أنت فلم تحسن ، وقال أعرابى لابنه : اسكت يا ابن الأَمَة[3]، فقال : هى والله أَعْذَرَ [4] منك ؛ لأنها لم ترضى إلا حرًّا .

لما ولى يحيى بن أكثم[5] القضاء بالبصرة وكان صبيًّا فاستصغروه ،

---

(١) الرَّابِيَةُ : كلُّ ما ارتفع من الأرض .

(٢) الحجامة : (الحِجامَةُ) حرفة من الحرف كانت فى القديم ، وهى عبارة عن إخراج الدم الفاسد من الجسم المريض ، وأيضا (الحَجَّامُ) بمعنى المَصَّاصُ .

(٣) الأَمَة : ضد الحرة .

(٤) أعْذَر : ذات عذر .

(٥) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمى الأسيدى المروزى ، أبو محمد . قاض ، رفيع القدر ، عالى الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفى حكيم العرب . ولد بمرو سنة (١٥٩هـ) واتصل بالمأمون أيام مقامه بها ، فولاه قضاء البصرة سنة (٢٠٢هـ) ثم قضاة القضاة ببغداد ، وكان مع تقدمه فى الفقه وأدب القضاء ، حسن العشرة ، حلو الحديث . توفى سنة (٢٤٢هـ) . انظر : الأعلام (٩/ ١٦٨) . وفيات الأعيان (٢ / ٢١٧) .

فقال بعضهم : كم سن القاضى أيده الله ؟ فقال : سن عتاب بن أسيد[1] لما ولاه رسول الله ﷺ .

عاتب أعرابى ابنه وذكره حقه ، فقال : يا أبت إن عظيم حقك علىّ لا يبطل صغير حقى عليك .

دخل الرشيد دار وزيره فقال لولد له صغير : أيما أحسن دارنا أو داركم؟ قال : دارنا . قال : لِمَ؟ قال : لأنك فيها .

قال المعتصم للفتح بن خاقان [2]وهو صبى : أرأيت يا فتح أحسن من هذا الفص - لفص كان فى يده - قال : نعم يا أمير المؤمنين اليد التى هو فيها أحسن منه .

دخل قوم على عمر بن عبد العزيز[3] فجعل فتى منهم يتكلم ،

---

(١) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، أبو عبد الرحمن ، قرشى، مكى ، من الصحابة ، كان شجاعًا عاقلاً ، من أشراف العرب فى صدر الإسلام ، أسلم يوم فتح مكة ، استعمله النبى ، ﷺ ، عليها عند مخرجه إلى حنين (سنة ٨هـ) وكان عمره ٢١ سنة ، وأقره أبو بكر ، فاستمر فيها إلى أن مات سنة (١٣هـ) . انظر: الأعلام (٤/ ٣٥٨) . والإصابة ت (٥٣٩٣) .

(٢) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أبو محمد . أديب ، شاعر ، فصيح ، كان فى نهاية الفطنة والذكاء ، فارسى الأصل ، من أبناء الملوك ، اتخذه المتوكل العباسى أخا له ، واستوزره وجعل له إمارة الشام ، واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن . قتل مع المتوكل سنة (٢٤٧هـ) وهو غير الفتح بن خاقان صاحب القلائد . انظر الأعلام (٥/ ١٣٣) . وفوات الوفيات (٢ / ١٢٣) .

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، أبو حفص . الخليفة الصالح ، والملك العادل . قيل له خامس الخلفاء الراشدين . ولد سنة (٦١هـ) ونشأ بالمدينة . ولى الخلافة بعهد من سليمان سنة (٩٩هـ) . منع سب علىّ بن أبى طالب ، لم تطل مدته . ومدة خلافته سنتان ونصف . توفى سنة (١٠١هـ) وأخباره فى عدله وحسن سياسته كثيرة . انظر : الأعلام (٥ / ٢٠٩) . وفوات الوفيات (٣/ ١٠٥) . وسير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤ - ١٤٨) .

فقال عمر : ليتكلم أكبركم ، فقال الفتى : إن قـريشًا لتجد فيها من هو أسن منك ، قال : تكلم .

دخل الحسين بن الفضل[1] على بعض الخلفاء ، وعنـده كثير من أهل العلم ، فأحب أن يتكلم فـزبـره[2] ، وقـال : أصبي يتكلم في هـذا المقـام ، فقـال: إن كنت صبيـا فلست أصغـر من هـدهـد سليمان ولا أنت أكبر من سليمان حين قـال لـه : أحطت بما لم تحط به ، ثم قـال : ألا تـرى أن الله فهّم الحكم سليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى .

عربد[3] صبي هاشمي على قـوم ، فأراد عمه أن يسوءه ، فقـال : يا عم قد أسأت بهم ، وليس معي عقلي فلا تسيء بي ومعك عقلك .

قال رجل لابنـه : يا ابن الزانيـة ، فقال : الزانيـة لا ينكحها إلا زان أو مشرك .

ضرط[4] ابن لعبـد الملك بن مـروان في حجـره ، فقـال لـه : قم إلى الكَنِيف[5] ، قال : هو ذا أنا فيه يا أبي .

---

(1) هـو الحسين الفضل بن عُمير البجلي . مفسر معمر . كـان رأسًـا في معاني القـرآن . أصله من الكوفة ، انتقل إلى نيسابور ، وأنـزله واليها عبد الله بن طاهر في دار اشتراها له ، فأقام فيهـا يُعلم الناس ٦٥ سنة ، وكان قبره بها معروفا . تـوفي سنة (٢٨٢هـ) . انظر الأعلام (٢/ ٢٥١) .

(2) زبره : (الزَّبْر) الزجر والانتهار .

(3) عربد : (العَرْبَدة) سوء الخلق .

(4) ضرط : (الضّراطُ) صوت معروف يخرج من دبر الإنسان .

(5) الكَنِيف : الساتر ، كناية عن موضع قضاء الحاجة .

قال عبد الرحمن[1] بن حسان بـن ثابت[2] لأبيـه وهـو طفل : لسعنى طائر كأنه ملتف فى بردى حبرة[3] (يعنى الزُّنبورُ[4]) فقال حسان : قد قال ابنى شعرًا ورب الكعبة .

كان سليمان بن وهب[5] يكتب فدخل عليه أبوه ، فقال : يا بنى إن علىّ ابن يحيى[6] وعـدنى بـالأمس أن يحضر عنـدى اليـوم فـاكتب وذكـره ،

---

(١) هو عبـد الرحمن بن حسـان بن ثابت الأنصـارى الخزرجى . شاعـر ابن شاعـر . ولد بالمدينة سنة (٦هـ) وأقـام فيها . اشتهر بالشـعر فى زمن أبيـه ، توفى بالمدينـة سنـة (١٠٤هـ) . قال حسـان : فمن للقوافى بعد حسان وابنه ومن للمثـانى بعد زيد بن ثابت . انظر : الأعلام (٤/ ٧٤) . وتهذيب التهذيب (٦/ ١٦٢) .

(٢) هو حسـان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصارى ، أبو الـوليد ، الصحابى شـاعر النبى ﷺ ، وأحد المخضرمين الـذين أدركوا الجاهليـة والإسلام . عـاش ستين سنة فى الجاهلية ومثلها فى الإسلام . لم يشهد مع النبى ، ﷺ ، مشهـدًا لعلة أصابته . كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى فى الإسلام . توفى سنة (٥٤هـ) .

(٣) بردى حبرة : (البُرْدة) كسـاء أسود مـربع فيه صغـر تلبسه الأعـراب والجمع (بُرَد) بفتح الراء . و (الحبرة) ضربٌ من بُرُود اليمن .

(٤) الزُّنبُورُ : ضرب من الذباب لسّاعٌ .

(٥) هـو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمـرو الحارثى . وزيـر ، من كبار الكتـاب ، من بيت كتـابة و إنشـاء فى الشام والعـراق . ولد ببغـداد ، وكتب للمأمون ، ولى الـوزارة للمهتدى بالله ، ثم للمعتمد على الله ، ونقم عليه الموفق بالله فحبسه ، فمات فى حبسه سنة (٢٧٢هـ) انظر الأعلام (٣/ ٢٠١) . وفيات الأعيان (١/ ٢١٦) .

(٦) هو على بن يحيى بن أبى منصـور ، نديم المتوكل العباسى ، خص بـه ويمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد ، يفـضون إليـه بأسرارهم ويأمنونـه على أخبارهم ، ولـد سنة (٢٠١هـ) ، كان راويــة للأشعـار والأخبـار ، شاعـرًا محسـنًا ، توفى بسامـراء سنـة (٢٧٥هـ) ورثاه عبد الله بن المعـتز . انظر الأعـلام (٥/ ١٨٤) . وفيـات الأعيان (١/ ٣٥٦) .

فكتب بديهة :

يـا من فـدتْ أَنفُسنـا نَفْسَـهُ　　　مَـوعِـدَنَـا بـالأمسِ لا تَنْسَـه

قال الفراء [1] : أنشدنى صبى من الأعراب أرجوزة ، فقلت : لمن هى ؟ فقال : لى ، فزبرته ، فأدخل رأسه فى فروته ثم قال :

إنـى وإن كنـتُ صغيرَ السـنِّ　　　وكـانَ فى العينِ نبـو عنى [2]

فـإن شيطـانـى أميرَ الجنِّ　　　يـذهبُ بى فى الشعـرِ كلَّ فنِّ

عـن على بـن الجهـم [2] قـال : وَجَـدَ [3] علىّ أبى فـأمـر المعلم أن

---

(١) هـو يحيى بن زياد بـن عبد الله بن منظـور الـديلمى ، مولى بنى أسـد ، أبـو زكريـا ، المعروف بـالفراء ، لأنه كـان يفرى الكلام ، إمـام الكوفيين وأعلمهم بالنحـو واللغة وفنـون الأدب . كان يقـال : الفراء أمير المؤمنين فى النحـو . ومن كلام ثعلب : لـولا الفراء ما كانت اللغـة . ولد بالكوفة سنة (١٤٤هـ) وانتقل إلى بغداد ، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه . توفى فى طريق مكة سنة (٢٠٧هـ) . انظر الأعلام (٩/ ١٧٨). وفيات الأعيان (٢ / ٢٢٨) .

(٢) نبو عنى : إخبار عنى .

(٣) هـو على بن الجهم بن بـدرن أبو الحسـن ، من بنى سـامة ، من لـؤى بن غـالب ، شـاعر ، رقيق الشـعر ، أديـب ، من أهل بغداد ، كـان معـاصرًا لأبى تمام ، غضب عليـه المتوكل العباسى ، فنفـاه إلى خراسـان ، فأقـام مدة وانتقـل إلى حلب ، ثم خـرج منهـا بجماعـة يريـد الغـزو ، فـاعترضـه فرسـان من بنى كلب ، فقاتلهـم ، وجـرح ومات من جرحه سنـة (٢٤٩هـ) . انظر الأعلام (٥/ ٧٧) . وابن خلكان (١/ ٣٤٩) .

(٤) وَجَدَ : غَضِبَ علىّ .

يحصرنى [1]، فكتبت إلى أمى :

أمى جُعلتُ فداكِ من أم أشكو إليكِ فَظَاظةَ [2] الجهم
قد سرح الصبيانَ كُلهم وبقيتُ محصورًا بلا جُرم

كان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيمٌ [3] بعثه فى حاجة فأبطأ وعاد ولم يقضها ، فنظر إليه ثم قال :

عقلُهُ عقل طائرٍ وهو فى خلقة الجمل

فأجابه :

شبهٌ منكَ نالنى ليس لى عنه منتقل

وفد سعيد بن عبد الرحمن بن ثابت [4] وهو صبى وضىء الوجه على

---

(١) يحصرنى : (حَصَره) ضيق عليه وأحاط به . وكذا (حَصَرْتُ) الرجل فهو (محصور) أى حبسته ، وقال أبو عمرو : (حَصَره) الشىءُ و (أحْصَره) حبسه .

(٢) فَظَاظَة : (الفَظّ) من الرجال الغليظ القاسى . وقد (فَظَّ) يَفَظّ بالفتح (فَظَاظَةً) بفتح الفاء .

(٣) جسيمٌ : (الجِسْم) الجسد وكذا (الجُسْمان) و (الجُثْمان) وقد (جَسُم) الشىءُ أى عَظُم فهو (جَسيم) و (جُسَام) بالضم و (الجِسَام) بالكسر جمع (جَسيم) .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، من شعراء الحماسة الشجرية ، من سكان المدينة المنورة ، وهو آخر من عرفنا من أبناء حسان . وقال الزركلى صاحب الأعلام : لم أجد من أرخ لوفاته ، فأتيت بها تخمينًا نحو عام (١١٥هـ) .

هشام[1] ، فسلمه إلى معلم الوليد بن يزيد[2] وهو عبد الصمد بن عبد الأعلى ، فطمع فيه ، فدخل على هشام وهو يقول :

إنـــه والله لـــولا أنت لم ينج منى سالماً عبد الصمد

قال : ولم ؟ قال :

إنه قد رَامَ [3] منى خطة لم يرمها قبله منى أحد

قال : وما ذاك ؟ قال :

رام جهلاً بى وجهلاً بأبى يولِجُ [4]العصفور فى خيس [5] الأسد

فصرفه هشام عن التعليم ، فقال فيه الوليد :

لقد قَرَفُوا [6] أبا وهب بأمر كبير بل يزيد على الكبير

وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير

---

(١) هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو الوليد القرشى الأموى الدمشقى - أمير المؤمنين ، بويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بعهد منه سنة (١٠٥هـ) كان حازم الرأى ، جماعًا للأموال ، يبخل ، وكان ذكيًّا مدبرًا ، له بصر بالأمور جليلها وحقيرها ، وكان فيه حلم وأناة ، توفى بالرصافة سنة (١٢٥هـ) وقد جاوز الستين انظر : البداية والنهاية (٩ / ٣٥١) .

(٢) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو العباس الأموى الدمشقى. ولد سنة (٩٠هـ) بويع له بالخلافة بعد عمه هشام ، كان مجاهرًا بالفواحش مصرًّا عليها ، منتهكًا محارم الله عز وجل ، لا يستحى من أحد ، وكان شروبًا للخمر ماجنًا فاسقًا ، وله أشعار كلها مجون وهزل . قتله أتباع يزيد بن الوليد ابن عبد الملك سنة (١٢٦هـ) وكان له من العمر ستٌّ وثلاثين سنة ، انظر البداية والنهاية (١٠/ ٦) .

(٣) رَامَ : الشىء طلبه . و(المَرَام) الطلب .

(٤) يولج : (وَلَجَ) يَلِجُ بالكسر (وُلُوجا) أى دخل .

(٥) خيس : (الخِيسُ) بالكسر موضع الأسد .

(٦) قَرَفُوا : وَصَمُوا .

كان لعبد الله بن سالم ابنان فأدبهما بفنون الآداب ، يسمى أحدهما ربيعة والآخر سفيان ، وكانا مع حداثة سنهما آدب أهل زمانهما ، فتفاخرا عنده ذات يوم فى غرائب الكلام ، فأحب أبوهما أن يظهر ذلك لقومه ، فقال لهما : إن شئتما بلوتكما فى كلمات أسألكما عنها ، قالا : فإنا قد شئنا ، فجلس لهما فى ملأ من قومه ، ثم دعا ربيعة وأخرج سفيان ، فقال : أخبرنى يا ربيعة عما أسألك عنه ، قال : سلنى عما بدا لك ، قال : أخبرنى عن المَجْد [1]؟ قال : ابتناء المكارم وحمل المغارم[2] ، قال : فأخبرنى عن الشرف ؟ قال : كف الأذى وبذل النّدىَ [3] ، قال : فأخبرنى عن الدَّعة[4] ؟ قال : إيتاء اليسير[5] والمنّ [6] بالحقير ، قال : فما المروءة[7] ؟ قال : شرف النفس مع تعاهد الصنيعة[8] ، قال : فما الكُلْفة[9] ؟ قال : التماس ما لا يعنيك

---

(١) المَجْد : الكَرَم . وقد (مَجُد) الرجل بالضم (مَجْدا) فهو (مَجيد) و (مَاجِد) .

(٢) المغارم : (الغَرَامَةُ) ما يلزم أداؤه وكذا : (المَغْرَم) و (الغُرم) وقد (غَرِمَ) الرجل الدية بالكسر (غُرْماً) . فالمغارم هنا بمعنى الديون .

(٣) النّدى : (نَدَا) من الجود يقال فلان (نَدِيُّ) الكف أى سخى و (النّدى) الجود . ورجل (نَدٍ) أى جواد . وفلان (أَنْدَى) من فلان أى أكثر خيرًا منه .

(٤) الدَّعة : الخفض : نقول منه (وَدُع) الرجل بضم الدال فهو (وَدِيعٌ) أى ساكن . و(وَادِعٌ) أيضا . والمُوَادَعة) المصالحة .

(٥) إيتاء اليسير : إعطاء القليل .

(٦) المنّ : (مَنَّ) عليه أنعم . و (المنَّان) من أسماء الله تعالى . ويقال رجل (منونة) كثير (الامتنان) .

(٧) المروءة : الإنسانية أو العفة والحرفة .

(٨) الصنيعة : المعروف .

(٩) الكُلْفة : ما يتكلفه الإنسان من نائبةٍ أو حق .

وتعجيل ما لا يؤتيك ؟ : قال : فما الحِلْم[1] ؟ قال : كظم الغيظ وملك الغضب . قال : فما الجهل ؟ قال : سرعة الوثوب على الجواب ، قال : فما العقل ؟ قال : حفظ القلب ما استرعى وفهمه ما أوعى ، قال : فما الحَزْم[2] ؟ قال : انتظار الفرصة وتعجل ما أمكن ، قال : فما العَجْز[3] ؟ قال : التعجل قبل الاستمكان والتأني بعد الفرصة ، قال : فما الشجاعة ؟ قال : صدق النفس ومتاركة الدِخاسُ[4] ، قال : فما الجبن ؟ قال : طيرة الرّوع[5] وضيق البوع[6] وسرعة الفشل ، قال : فما السماحة ؟ قال : حب السائل وبذل النائل[7] . قال : فما الشُّحُّ[8] ؟ قال : من يرى القليل إسراف والكثير إتلافا، قال : فما الظرف ؟ قال : حسن المحاورة وسرعة المجاوبة ، قال : فما الصَّلَف[9] ؟ قال : عظم النفس مع قلة المقدرة ، قال : صدقت لاعدمتك[10] .

---

(١) الحِلْم : بالكسر الأناةُ . وقد (حَلُم) بالضم (حِلْما) و (تَحَلّم) تكلف الحِلْم . و(تَحَالَمَ) أرى من نفسه ذلك وليس به .
(٢) الحَزْم : ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة .
(٣) العَجْز : الضَّعف .
(٤) الدِخاسُ : الكثرة .
(٥) الرَّوْع : بالفتح الفزع . و (الرَّوْعة) الفزعة .
(٦) البوع : (البَاعُ) قدر مد اليدين وما بينهما من البدن .
(٧) النائل : (النَّوال) العطاء . و (النَّائِل) مثله . يقال (نَالَ) له بالعطية . و (نَالَهُ) العطية . و (نَوّلَهُ تَنْويلا) أعْطَاه نَوَالا .
(٨) الشُّحُّ : البُخل مع حرص . وقد (شَحِحْت) بالكسر تَشَحّ و (شَحَحْت) بالفتح تَشُحّ وتَشِحّ بالضم والكسر ، ورجل (شَحِيح) وقوم (شِحَاح) بالكسر و (أَشِحّة).
(٩) الصَّلَف : زعم الخليل أن (الصَّلَف) مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا فهو رجل (صَلِفٌ) وقد (تَصَلَّف) .
(١٠) لا عدمتك : (عَدِمْتُ) الشيء أي فقدته . والمعنى : لا فقدتك .

ثم دعـا سفيان فقـال : أخبرني ما الفهم ؟ قـال : لسان سئـول وقلب عَقُـول ، قـال : فما الغنى ؟ قـال : قلة التمنى والـرضـا بما يكفى ، قـال : فما الكَيس [(١)]؟ قال : تـدبير المعيشة مع طلـب الآخرة ، قـال : فما السؤدد[(٢)] ؟ قـال : اصطناع العشيرة وحمل المؤونـة ، قال : فما السَّنـاء[(٣)] ؟ قـال : حسن الأدب ورعاية الحسـب ، قال : فما اللؤم ؟ [(٤)]قال : إحراز [(٥)]النفس وإسلام العُرْس[(٦)] ، قال : فما الخُرْقُ [(٧)] ؟ قال : مماراة[(٨)] الأمراء ومعادة الوزراء. قال: فما الدناءة[(٩)] ؟ قال : الجلوس على الخَسف [(١٠)]والرضا بالهُون[(١١)] ، قال : فما المجـد ؟ قـــال : عـــز السلف وقـــدم الشرف ، قـــال : فما الأروم[(١٢)] ؟

---

(١) الكَيْس : ضد الحُمْق .

(٢) السؤدد : (سَاد) قومه و (سُودَدًا) أيضـا و (سَيْدُودَة) بالفتح فهو (سَيِّد) والجمع (سَادَة) .

(٣) السَّنَاء : من الرفعة . و (السَّنيُّ) الرفيع و (أَسْنَاهُ) رفعه .

(٤) اللُّـؤمُ : (اللئيم) الدنيء الأصـل ، الشحيح النفس . وقد (لَـؤم) بـالضم (لُؤْمـا) و(مَلأمة) أيضا .

(٥) إحـراز : (الحِرْز) الموضع الحصين . يقـال هـذا (حِرْزٌ حَـرِيـز) ويسمى التعـويـذ (حِرْزًا) و (احْتَرَز) من كذا و (تَحَرَّز) منه أى توقاه .

(٦) إسلام العُرْس : (أسلَم) فى الطعام أسلف فيه .

والعُرْس : طعام الوليمة ، يذكر ويؤنث ، وجمعه (أعرَاس) و (عُرُسَات) بضم الراء.

(٧) الخرْقُ : الحُمْقُ . والأنثى (خَرْقاءُ) .

(٨) مماراة : مسايرة ، نفاق .

(٩) الدناءة : (الدَّنِيءُ) بالمد الخسيس الدون . وقد (دَنَأَ) يَدْنَأ بالفتح (دَنَاءَةً) .

(١٠) الخسف : الأرض المنخفضة .

(١١) الهُون : بـالضـم الهوَان . و(أَهَـانَه) استخـف به . والاسم (الهَوَان) و (المَهَـانـة) يقال: رجل فيه مهانة أى ذل وضعف و (استَهان) به و (تَهَاوَن) به استحقره .

(١٢) الأروم : الأصيل .

قال : الأصل الصميم والبيت القديم ، قال : فما الفقر ؟ قال : شره[١] النفس وشدة القُنُوط[٢] ، فقال أبوهما : أحسنتما جميعًا وقلتما الصواب .

لما ردَّت حَلِيمة السَّعْدِية[٣] النبى ، ﷺ ، إلى مكة ، نظر إليه عبد المطلب[٤] وقد نما نمو الهلال ، وهو يتكلم بفصاحة ، فقال : جمال قريش ، وفصاحة سعد ، وحلاوة يثرب .

سأل حكيم غلامًا معه سراج ، من أين تجىء النار بعدما تنطفىء ؟ فقال : إن أخبرتنى إلى أين تذهب أخبرتك من أين تجىء !.

قحطت[٥] البادية فى أيام هشام ، فقدمت عليه العرب ، فهابوا أن يتكلموا وفيهم درواس بن حبيب ، وهو إذ ذاك صبى له ذُؤَابَةُ[٦] وعليه

---

(١) شره : (الشَّرَهُ) غلبة الحرص .

(٢) القُنُوط : اليأس ، ومنه (قَيِطٌ) و (قَنُوط) و (قَانِطٌ) وقُرِىء قوله تعالى ﴿ فلا تكن من القانطِين﴾ .

(٣) هى حليمة بنت أبى ذُؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر السعدى البكرى الهوازنى ، من أمهات النبى ، ﷺ ، فى الرضاع ، كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدى . وبعد زواج النبى من خديجة قدمت حليمة على مكة وشكت إليه الجدب فأعطتها خديجة أربعين شاة ، وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلما ، توفيت بعد سنة (٨هـ) . انظر الأعلام (٢/ ٢٧١) . وأعلام النساء (١/ ٢٩٠) .

(٤) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحارث . زعيم قريش فى الجاهلية ، وأحد سادات العرب ومقدميهم . ولد فى المدينة ونشأ فى مكة ، ذا أناة ونجدة ، فصيح اللسان ، حاضر القلب ، أحبه قومه ورفعوا من شأنه ، فكانت له السقاية والرفادة ، وهو جد رسول الله ، ﷺ . انظر الأعلام (٤/ ٩٩) وابن الأثير (٢/ ٤) .

(٥) قحطت : (القَحْط) الجدب . و (أَقْحَطَ) القوم أصابهم القحط ،و (قَحِطَ) المطر احتبس .

(٦) ذُؤابَة : الشعر المضفور من شعر الرأس .

شملتان[١] ، فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه : ما يشاء أحد يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان ، فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرّا أى مدلاً ، فقال : يا أمير المؤمنين إن للكلام نشرًا وطيا وإنه لا يعرف ما فى طيه إلا بنشره فإن أذنت لى أن أنشره نشرته ، قال : انشر لا أبا لك - وقد أعجبه كلامه مع حداثة سنه - فقال : إنه أصابتنا سنون ثلاث ، سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم ، وسنة أنّقت[٢] العظم ، وفى أيديكم فضول أموال ، فإن كانت لله ففرّقوها على عباده ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزى المتصدقين ، فقال هشام : ما ترك لنا الغلام فى واحدة من الثلاث عذرًا ، فأمر للبوادى بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ، فقال : اردده يا أمير المؤمنين إلى جائزة العرب ، فإنى أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم ، فقال : أما لك حاجة ؟ فقال : ما لى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين ، فخرج وهو من أنبل القوم .

قال رجل : مررت بغلمة من الأعراب يتماقلون[٣] فى غدير ، فقلت : أيكم يصف لى الغيث[٤] وأعطيه درهمًا ، فخرجوا إلىّ ، وقالوا : كلنا نصف - وهم ثلاثة - فقلت : صفوا فأيكم ارتضيت صفته أعطيته الدرهم ، فقال أحدهم : عَنَّ[٥] لنا عارض قصرا[٦] تسوقه

---

(١) شملتان : (الشَّمْلة) كِساءٌ يُشتَمَلُ به .

(٢) أنّقت : نظفت .

(٣) يتماقلون : يغوصون .

(٤) الغيث : المطر .

(٥) عَنَّ : له كذا (يَعِنُّ) بضم العين وكسرها (عننًا) أى عرض واعترض ، ومعنى عَنَّ لنا: أى عَرَض لنا .

(٦) عارض : (العارض) السحاب يعترض الأفق ، ومنه قوله تعالى: ﴿ هذا عارضٌ ممطرنا﴾ أى ممطر لنا ، وعارض قصرا : أى سحاب منخفض .

الصبا[١] وتحدوه الجُنـوب [٢]، يجبـو حبـو المعتنك [٣]، حتى إذا ازْلأمّـت[٤] صـدوره ، وانثجلت[٥] خصـوره [٦]، ورجع هـديره[٧] ، وأصعـق زئيره[٨] ، واستقل نشاصه[٩] ، وتلاءم خصاصه[١٠] ، وارتعج ارتعـاصه [١١]، وأوفدت سقابـه [١٢]، وامتـدت أطنـابـه [١٣]، تَـدَارَك ودقـه[١٤] ، وتألق بـــرقـــه ،

---

(١) الصّبـا : الـريح ، ومهبهـا المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا اسـتوى الليل والنهار.

(٢) الجُنوب : الريح المُقَابلة للشَّمَال .

(٣) المعتنك : المجهد . و (التعنيك) المشقة .

(٤) ازْلأمّت : انتصبت - انبسطت - ارتفعت .

(٥) انثجلت : عظمت .

(٦) خصـوره : (الخَصَر) بفتحتين البرد . وقد (خَصِر) الـرجل إذا آلمه البرد فى أطرافـه . و(خَصِر) يومنا اشتد برده . وماءٌ (خَصِرٌ) بارد بكسر الصاد .

(٧) هديره : صوته الشديد .

(٨) أصعق زئيره : (أصعق) اشتد .

و (الزَّئير) صوت الأسد الخارج من صدره ، والمعنى : أى اشتد صوته .

(٩) نشاصه : ارتفع بعضه فوق بعض .

(١٠) تلاءم خصاصه : اجتمعت خصائصه .

(١١) ارتعج ارتعاصه : ارتعد وتلوى وانتفض .

(١٢) أوفدت سقابه : أرسلت بشارة نزول المطر ، و (السَّقْبُ) ساعة يولد .

(١٣) امتدت أطنابه : (الطُّنُب) بضمتين حبل الخِبَاء ، والمعنى : امتدت أطرافه .

(١٤) تَـدارَك ودقه : (الإدراك) اللحـوق . وصوابـه اللحـاق ، يقال: مشى حتى أدركـه وعاش حتى أدرك زمانه . و (تدارك) القوم تلاحقوا أى لحق آخرهـم أولهم .

و (الوَدق) المطر . ومعنى تدارك ودقه : تلاحق مطره .

وحفزت تواليه[١] ، وانسفحت عزاليه[٢] ، فغادر الثرى[٣] عمدًا ، والعزاز ثئدًا[٤] ، والحث عقدًا[٥] ، والضحاضح متواصية[٦] ، والشعاب متداعية[٧] .

وقال الآخر : تراءت المخايل من الأقطار ، تحن حنين العشار ، وترامى بشهب النار ، قواعدها متلاحكة[٨] ، وبواسقها[٩] متضاحكة ، وأرجاؤها متقاذفة ، وأعجازها مترادفة ، وأرجاؤها متراصفة ، فواصلت الغرب بالشرق ، والوبل بالودق[١٠] ، سحا دراكًا[١١] ، متتابعًا لكاكا[١٢] ، فضحضحت الجفاجف[١٣] ، وأنهرت الصفاصف[١٤] ، وحوضت الأصالف[١٥] ، ثم أقلعت محسبة محمودة الآثار ، مومومقة الحبار[١٦] .

---

(١) حفزت تواليه : تتدافع متتابعة .
(٢) انسفحت عزاليه : انصبت بالمطر الكثير الجود .
(٣) الثَّرى : التراب النَّديُّ .
(٤) العزاز ثئدًا : المكان الصلب السريع السيل .
(٥) الحث عقدا : الرمل الغليظ الخشن .
(٦) الضحاضح متواصية : غدران الماء متصلة بعضها ببعض .
(٧) الشّعاب متداعية : الأغصان متهدمة .
(٨) متلاحكة : شديدة .
(٩) بَواسِقها : (الباسق) المرتفع فى علوه ، وهنا صفة للسحاب .
(١٠) الوبل بالودق : المطرُ الشديد الضخم بالمطر الخفيف .
(١١) سحا دراكًا : انصب متدارك .
(١٢) لكاكا : مزدحمًا .
(١٣) ضحضحت الجفاجف : ترقرق الماء فى الأرض المستديرة (الوهدة من الأرض) .
(١٤) الصفاصف : المستوى من الأرض ، قال الفراء : الصفصف : الذى لا نبات فيه .
(١٥) حوضت الأصالف : اجتمعت السحب الكثيرة الرعد القليل الماء .
(١٦) موموقة الحبار : نادرة الأثر .

وقال الثالث - والله ما خلته[1] بلغ خمسًا - فقال : هلم الدرهم أصف لك ، فقلت : لا أو تقول كما قالا ، فقال : والله لأبذنهما[2] وصفًا ، ولأفوقنهما رَصْفًا[3] ، قلت : هـات لله أبوك ، فقال : الحاضر بين اليـأس والإيلاس[4] ، قد غمرهم الإشفاق رهبة الإمْلاَقُ[5] ، وقد حقبت الأَنْواء[6]، ورفرف البلاء، واستولى القُنُوط[7] على القلوب ، وكثـر الاستغفار من الذنـوب ، ارتاح ربك لعباده فأنشأ سحابا مسجهرًا[8] ، كنهورًا[9] ، معنونكًا[10] ، محلولكًا[11]، ثـم اسْتَقَـلَ[12] واحـزأل[13] ، فصـار كـالسماء دون السماء ، كـالأرض المدحوة[14] في لوح الهواء ، فأحسب[15] السهول ، وأتاق الهجول[16]، وأحيا

---

(1) خلتُه : حَسبتُه ، وظننته .

(2) لأبذنهما : لأسبقَنّهما ولأغْلبنّهما .

(3) رَصْفًا : (الرَّصْفُ) ضمُ الشَّيء بعْضه إلى بعضٍ ونظمُهُ .

(4) الإيلاس : الرِّيبةُ .

(5) الإمْلاقُ : الافتقارُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ ﴾ .

(6) حقبت الأَنْواء : احتبست الأمطار .

(7) القُنُوط : اليأس .

(8) مسجهرًا : يترقرق فيها الماء .

(9) كنهورًا : كأنهار .

(10) معنونكًا : مظلمًا .

(11) محلولكًا : شديد الظلمة .

(12) اسْتَقَل : مَضَى وارتحل .

(13) احزأل : ارتفع نحو بطن السماء .

(14) المدحوة : (دَحَا) الشيء بسطه . ومنه قوله تعالى ﴿ والأرض بعـد ذلك دَحَاها ﴾ و(دَحَا) المطر الحصى عن وجه الأرض .

(15) أحسب : روى وسقى .

(16) أتاق الهجول : اشتاقت الأرض المطمئنة .

الرجاء وأمات الضَّرّاء[1] ، وذلك من قضـاء رب العـالمين ، قـال : فمـلأ - والله- اليفع[2] الثـلاثـة صـدرى ، فأعطيـت كل واحـد منهم درهما وكتبت كلامهم.

قال الهيثم بن صالح لابنه : يـا بنى ، إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب ، وإذا أكثـرت من الكلام أقللت من الصواب ، قال : يـا أبة ، فإن أنا أكثرت وأكثـرت - يعنى كلامًا وصوابًـا - قال : يا بنى ما رأيت مـوعوظًا أحق بأن يكون واعظًا منك .

قال الـرشيد يـومًا لأبى عيسى ولـده وهو صبى ، وكـان من أجمل أهل زمانه : ليت جمالك لعبد الله - يعنـى المأمون - قال : على أن حظه منك لى ، فعجب من جوابه وضمه إليه .

قـرع قوم على الجاحظ البـاب ، فخـرج صبى لـه ، فسألوه مـا يصنع ؟ فقال: هو ذا يكذب على الله . قيل كيف ؟ قال : نظر فى المرآة ، فقال ، الحمد لله الذى خلقنى فأحسن صورتى .



---

(١) الضَّرّاء : الشدة .
(٢) اليفع : أيْفَع الغُلام أى ارتفع عن الأرض ، فهو يَافعٌ .

الباب الحادى عشر
فى ذكر الخوف عليهم والشفقة والرأفة

يقال : إذا ترعرع الولد تزعزع الوالد .

أخذ عبد الملك بن مروان أحد لصوص العرب فأمر بقطع يده ، فجاءت أمه فقالت : يا أمير المؤمنين ولدى وكاسبى ، قال : بئس الولد ولدك وبئس الكاسب كاسبك ، هذا حد من حدود الله تعالى لا أعطله ، قالت : أجعله من الذنوب التى تستغفر الله منها ، فعفا عنه .

قال يموت بن المزرع[1] يخاطب ابنه مهلهلاً :

مهلهل[2] أحشائى عليك تقطع　　وأَقْرح [3]أجفانى أخوك مزرع
إلى الله أشكو ما تجن جوارحى　　وما فيكما من غصَّة [4] أتجرع

---

(١) هو يموت بن المزرع العبدى ، من عبد القيس - أبو بكر ، شاعر أديب ، من مشايخ العلم ، وهو ابن أخت الجاحظ ، من أهل البصرة ، زار بغداد سنة (٣٠١هـ) وهو شيخ كبير ، وزار مصر مرارًا ، ومات بطبرية وقيل بدمشق سنة (٣٠٤هـ) وهو أبو (مهلهل بن يموت) . انظر الأعلام (٩/ ٢٧٧) . وابن خلكان (٢/ ٣٤٣) .

(٢) هو مهلهل بن يموت بن المزرع العبدى . من شعراء العصر الإخشيدى بمصر ، وكان راوية للشعر كأبيه . توفى بعد عام (٣٣٤هـ) . انظر الأعلام (٧/ ٣١٦) .

(٣) أَقْرَحَ : (القَرِحُ) الألم ، وذلك من كثرة البكاء .

(٤) غصَّةٌ : (الغُصَّة) الشَّجَى . والجمع (غُصَص) .

فإن ذرفت عيناى وجدًا[١] عليكما ففىّ دون ما ألقاه مبكى ومجزع
أخاف حِمَاماً[٢] يا مهلهل باغتًا وطير المنايا حائمَاتٌ [٣] ووقع

كان للصنوبرى ابن مسترضع ففطم ، فدخل الصنوبرى يومًا داره والصبى يبكى ، فقال : ما لابنى ؟ فقالوا : فطم ، فتقدم إلى مهده وكتب عليه :

منعوه أحب شىء إليه من جميع الورى[٤] ومن والديه
منعوه غذاءه ولقد كا ن مباحا له وبين يديه
عجبا منه ذا على صغر السن هوى فاهتدى الفراق إليه

وقال آخر فى إشفاقه على ولده:

كلفنى الهم لإغناء الولد وخوف أن يفتقروا إلى أحد
وأن يعيشوا عيشة فيها ضمد[٥] ويشربوا من بعد عد بثْمد[٦]
منتقلاً من بلد إلى بلد يومًا بصنعاء ويوما بالجُنْد

وقال آخر :

لا تعجبى يا مىّ من سوادى ومن قميص همّ بانقدادِ [٧]

(١) وجدًا : (وَجَد) فى الحزن (وَجْدا) بالفتح .
(٢) حِمَامًا : قضاء الموت وقدره .
(٣) حائمَاتٌ : طائفات أو دائراتٌ .
(٤) الوَرَى : الخلق .
(٥) ضمد : الشدُّ والتضييق . من ضمد رأسه وجرحه إذا شدّه بالضماد .
(٦) ثمد : (الثَّمْدُ) و (الثَّمَدُ) بسكون الميم وفتحها الماء القليل الذى لا مادة له .
(٧) انقداد : (القدّ) الشق طولا ، والمعنى . هم بالانشقاق والتمزق .

كلفنى تعسف[1] البلاد وقلة النوم على وسادى

مخافة الفقر على أولادى

ومما قيل فى القعود عن السفر إشفاقًا على الولد :

أرانى إذا رمت[2] الرحيلَ يصدنى قصير الخُطا طفل علىّ كريم

أخو خمسة مثل الفراخ تضمهم مواتية[3] فيها تفيد رؤوم[4]

أراد أعرابى سفرًا فقال لامرأته:

عدى السنينَ لغيبتى وتصبرى وذرى الشهورَ إنهنَّ قصار

فأجابته

واذكر صبابتنا[5] إليكَ وشوقنا وارحم بناتك إنهنَّ صغار

فأقام وترك سفره .

❋ ❋ ❋

---

(١) تعسف : (العَسْف) الأخذ على غير الطريق وكذا (التَّعسُّف) و (الاعْتِساف) .
(٢) رمت : (رَامَ) الشىء طلبه . و (المَرَام) الطلب .
(٣) مواتية : مطيعة .
(٤) رَؤوم : عاطفةٌ على ولدها .
(٥) صبابتنا : (الصَّبَابة) بالفتح رقة الشوق وحرارته .

الباب الثانى عشر
فى إيثار الآباء بعضهم على بعض

عن النعمان بن بشير[1] قال : نحلنى[2] أبى نحلا فقالت أمى : أشهد رسول الله ، فأتى النبى ، ﷺ ، فقال : أكل ولدك أعطيت مثل هذا؟ قال : لا ، قال : «اعدلوا بين أولادكم »[3].

قيل لمحمد بن الحنفية[4] : كيف كان علىّ - رضى الله عنه - يقحمك فى المآزق ، ويولجك[5] فى المضايق ، دون الحسن والحسين .

---

(١) هو النعمان بن بشير الأنصارى . أول مولود ولد با لمدينة بعد الهجرة من الأنصار . ولد سنة (٢هـ) حنكه رسول الله ﷺ . تولى نيابة الكوفة لمعاوية ، ثم سكن الشام وولى قضاءها ، ثم ناب بحمص لمعاوية ، ثم تولى نيابة حمص أيام ابن الزبير ، فلما تملك مروان خرج هاربًا فاتبعه خالد بن خلى الكلاعى فقتله سنة (٦٥هـ) . روى عدة أحاديث حسان صحيحة . انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٢٤) .

(٢) نحلنى : أعطانى .

(٣) رواه الأمام أحمد فى مسنده (٤/ ٢٧٥ ، ٢٧٨) ، وابن حبان فى صحيحه بلفظ « اعدلوا بين أبنائكم » . وفى رواية لمسلم - كتاب الهبات - « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » . وفى الصحيح : « أشهد على هذا غيرى » . وهذا أمر تهديد لا إباحة ، فإن تلك العطية كانت جورًا بنص الحديث « لا تشهدنى على جور ، إن لابنك عليك من حق أن تعدل بينهم » .

(٤) هو محمد بن على بن أبى طالب ، الهاشمى القرشى ، أبو القاسم المعروف بابن الحَنَفِيَّة . أحد الأبطال الأشداء فى صدر الإسلام ، وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية ، وقد نسب إليها تمييزًا عنهما. مولده ووفاته فى المدينة عام (٨١ هـ) . انظر الأعلام (٦/ ٢٧٠).

(٥) يولجك : يدخلك .

فقال : لأنهما كانا عينيه وكنت يديه فكان يقى بيديه عينيه .

قيل لأعرابى: أى أولادك أحب إليك ؟ فقال : صغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يصح ، وغائبهم حتى يقدم .

كان الرشيد يؤثر المأمون على الأمين فعاتبته أم جعفر على ذلك فوجه إليهما خادمين حصيفين يقولان لكل واحد فى الخلوة: ما تفعل بى إذا استخلفت ، فقال محمد : أقطعك [1] وأغنيك ، ورمى المأمون الخادم بدواة وقال : يا ابن اللخناء [2] أتسألنى عما أفعل بك يوم يموت أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ؟ إنى لأرجو أن نكون جميعًا فداء له ، فقال الرشيد : كيف ترين ما أقدم ابنك إلا متابعة لرأيك وتركا للحزم .

وكان الرشيد يقول للمأمون : يا عبد الله أحب المحاسن كلها لك حتى لو أمكننى أن أجعل وجه أبى عيسى لك لفعلت .

أوصى على بن عبدالله بن العباس [3] - رضوان الله عليهم - إلى ابنه سليمان وترك محمدًا - وكان أسن منه - فقال له : يا بنى أنفس بك أن أدنسك بالوصية .

❊ ❊ ❊

---

(١) أقطعك : أعطيك قطعة من أرض الخراج .

(٢) اللَّخْناء : هى التى لم تُختَنْ .

(٣) هو على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو محمد . جد الخلفاء العباسيين . من أعيان التابعين . كان كثير العبادة والصلاة فغلب عليه لقب (السّجّاد) . وكان من أجمل الناس وأوسمهم ، عظيم الهيبة ، جليل القدر . قيل للوليد بن عبد الملك: إنه يقول بأن الخلافة ستصير إلى أبنائه ، فأمر به فضرب بالسياط وأهين ، واعتقله هشام بن عبد الملك فى البلقاء ، فمات معتقلا سنة (١١٨هـ) . انظر الأعلام (٥/ ١١٧) . وحلية الأولياء (٣/ ٢٠٨) .

الباب الثالث عشر
فى ذكر من تمنى الحياة وكره الموت لأجل الولد

فى بعض الكتب أن إبراهيم خليل الرحمن -عليه السلام - كان من أغير الناس ، فلما حضرته الوفاة دخل عليه ملك الموت فى صورة رجل أنكر، فقال له : من أدخلك دارى ؟ قال : الذى أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت جئت لقبض روحك . قال : أتاركى أنت حتى أودع ابنى إسماعيل . قال : نعم ، فأرسل إلى إسماعيل فلما أتاه أخبره فتعلق إسماعيل بأبيه إبراهيم وجعل يتقطع عليه بكاء ، فخرج عنهما ملك الموت وقال : يا رب ذبيحك تعلق بخليلك ، فقال له : « قل له: إنى قد أمهلتك » ففعل ، وانحل إسماعيل عن إبراهيم . ودخل إبراهيم بيتًا ينام فيه فقبض ملك الموت روحه وهو نائم ، ﷺ[1] .

قال مالك بن أحمد بن سوار الطائى :

وإنى لأخشى أن أموت وجعفر صغير فيجفى[2] جعفر ويضيع
وإنى لأرجو جعفرا إن جعفرا لصالح أخلاق الكرام تبوع

---

(١) يؤخذ على المصنف أنه لم يعز إلى المصدر الذى نقل عنه بعض الأقوال والأحداث وخاصة ما جاء على لسان الأنبياء ، فكان الأحرى به أن يحدد الكتاب المأخوذ منه بدلاً من قوله : جاء فى بعض الكتب .

(٢) يجفى : (الجَفَاء) غلظ الطبع .

وللطرماح [1]:

أحاذر يا صمصام إن مت أن يلي ... تراثي وإياك امرؤ غير مصلح
إذا صك[2] وسط القوم رأسك صكة ... يقول له الناهي ملك فأسجح[3]

وقال آخر :

أخشى عليه أبًا بعدى وجفوته ... وضعف أمٍّ وعمًّا ضيق البلد[4]
إن يضجعوهُ يرَ إخوةٌ بمضجعه[5] ... وكان مضجعه مني على كبدي

وقال آخر :

يقر بعيني وهو يغتال مدتي[6] ... مرورَ الليالي أن يشب حكيم
مخافةَ أن يغتالني الموت قبلهُ ... فيغشى بيوتَ الحي وهو يتيم
وشيب رأسي إنني كل شارقٍ ... أودعُ منهم ظاعنًا وأقيم

---

(١) هو الطرماح بن حكيم بن الحكم. من طيىء ، شاعر إسلامى فحل ، ولد ونشأ فى الشام ، وانتقل إلى الكوفة فكان معلمًا فيها ، واتصل بخالد بن عبد الله القسرى ، فكان يكرمه ويستجيد شعره ، وكان هجّاءً ، معاصرًا للكميت صديقًا له ، لايكادان يفترقان . انظر الأعلام (٣/ ٢٢٥) .

(٢) صك : (صَكّه) ضربه . ومنه قوله تعالى: ﴿ فَصكَّت وجْهَها ﴾ .

(٣) أسجع : أحسن .

(٤) ضيق البلد : (البَلاَدة) بالفتح ضد الذكاء ، والمعنى : ضيق الذكاء أى بليد .

(٥) مضجعة : (المضجع) المكان المخصص للنوم .

(٦) مدتى : غايتى .

وقال أباق بن بديل الدبيرى لابنه الركاض :

إنك يـا ركـاض وارى الـزنـد[1] أعـددتـه للظـالم الألـد[2]
ذى النخـوة[3] المولع بـالتعـدى أخشى عليك الـوارثين بعـدى
إذا رأونى جَـدَفًا[4] فى اللَّحْـد[5] أن يعضهوك[6] بالدواهـى الربد[7]
ويقلـب المجـن[8] مـن يفـدى

❋ ❋ ❋

تم كتاب الدارى فى ذكر الذرارى ، وفرغ من
جمعه وكتابته الفقير إلى رحمة الله تعالى
كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة
الله ابن العديم الحلبى ،صنفه
للملك الظاهر الغازى حين
ولد ولده الملك العزيز
والحمد لله وصلى الله
على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم

---

(١) وارى الزند : (الـزَّنْـد) موصل طرف الذراع فى الكف . وهما زندان : الكوع والكرسوع. والمعنى : مفتول العضلات .
(٢) الألد : رجل (ألدُّ) بين (اللَّدَد) أى شديد الخصومة .
(٣) النَّخْوَة : الكبر والعظمة . يقال : (انتخى) فلان علينا أى افتخر وتعظم .
(٤) جَدَفًا : مقبورا أو مدفونا . (٥) اللَّحْد : الشق فى جانب القبر .
(٦) يعضهوك : يبهتوك ، أى يقولون عليك ما لم تفعله . (٧) الربد : المنكرة .
(٨) المجن : (المُجُون) ألا يبالى الإنسان ما صنع . وقد (مَجَن) و (مَجَانَـةً) فهو (مَاجِن)، وجمعه (مُجَّان) .

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الإصابة فى أسماء الصحابة : لشهاب الدين ابن حجر العسقلانى - نهضة مصر .

٣- إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين : للزبيدى - دار إحياء التراث العربى - بيروت .

٤- الأعلام : لخير الدين الزركلى - القاهرة سنة ١٩٥٩م .

٥- البداية والنهاية : للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير - مكتبة المعارف - بيروت .

٦- ترتيب القاموس المحيط : للفيروز آبادى - ترتيب الطاهر أحمد الزاوى - مطبعة عيسى الحلبى .

٧- الترغيب والترهيب : للحافظ المنذرى - دار إحياء التراث العربى - بيروت .

٨- الجامع الصغير : لجلال الدين السيوطى - دار الكتب العلمية . بيروت.

٩- حسن المحاضرة : جلال الدين السيوطى - دار الكتاب العربى - بيروت .

١٠- حلية الأولياء : لأبى نعيم الأصبهانى - دار الكتاب العربى -بيروت .

١١- سنن ابن ماجه : للحافظ محمد بن يزيد القزوينى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - عيسى البابى الحلبى - القاهرة .

١٢- سنن أبى داود : انظر عون المعبود .
١٣- سنن الترمــذى : للحـافظ أبى عيسـى الترمـذى - مصطفى البــابى الحلبى- القاهرة .
١٤- سنن النسائى : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية السّندى - دار الكتب العلمية - بيروت .
١٥- سنن الـدار قطنى : الإمـام على بن عمر الـدار قطنى - دار المحـاسن للطباعة - القاهرة .
١٦- سنن الـدارمى : تحقيق عبـد الله هـاشم يمانى - طبع فى دار المحـاسن بالقاهرة .
١٧- سبـائك الذهـب : الشيخ محمـد أمين البغدادى السـويدى - المكتبـة التجارية الكبرى - القاهرة .
١٨- صحيح ابن حبان : انظر موارد الظمآن .
١٩- صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج - تحقيـق محمد فؤاد عبـد الباقى - عيسى البابى الحلبى - القاهرة .
٢٠- صحيح البخارى : للحـافظ أبى عبد الله البخارى - المطبعـة العثمانية المصرية سنة ١٣٥١هـ .
٢١- طبقات الحفـاظ : لجلال الدين السيـوطى - تحقيق محمـد على عمر - مطبعة الاستقلال - ونشره مكتبة وهبة بمصر سنة ١٩٧٣ م .
٢٢- علل الحديث : للحـافظ الـرازى - المطبعـة السلفيـة ومكتبتهـا سنـة ١٣٤٣هـ .
٢٣- عـون المعبـود شرح سنن أبى داود : تحقيق عبد الـرحمن محمـد عثمان - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٢٤- كنز العمال : للعلامة علاء الدين البرهان فورى - مؤسسة الرسالة .
٢٥- لسان العرب : لابن منظور - دار المعارف المصرية .
٢٦- مجمع الزوائد : للهيثمى - دار الكتاب العربى - بيروت .
٢٧- مختار الصحاح : للرازى - المطبعة الأميرية - بالقاهرة - ١٩٥٣م .
٢٨- مسند الإمام أحمد : المكتب الإسلامى ودار صادر - بيروت .
٢٩- مشكاة المصابيح : لولى الدين التبريزى - المكتب الإسلامى - دمشق.
٣٠- المصنف : للحافظ عبد الرازق الصنعانى - الشركة المتحدة للتوزيع .
٣١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضعه محمد فؤاد عبد الباقى - دار إحياء التراث العربى - بيروت .
٣٢- مفتاح كنوز السنة : د أ . ى . فنسنك - نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى - مطبعة معارف لاهور - ١٣٩٧هـ .
٣٣- موارد الظمآن : للهيثمى - تحقيق محمد عبد الرازق حمزة - السلفية بالقاهرة .
٣٤- ميزان الاعتدال : للإمام الذهبى - عيسى البابى الحلبى - القاهرة .
٣٥- نصب الراية : للزيلعى - المكتبة الإسلامية .
٣٦- نوادر الأصول : للحكيم الترمذى - دار السعادة سنة ١٢٩٣هـ .

□ □ □

الفهرس

❑ ❑ ❑

دار الأمين

طبع ★ نشر ★ توزيع

DAR AL AMEEN

٨ شارع أبو المعالى (خلف المعهد البريطانى) العجوزة تليفون/ فاكس : ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفى) القاهرة ت : ٥٩٣٢٧٠٦